عالم الفكر
العدد 1 المجلد 42 يوليو - سبتمبر 2013

اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية

دراسة وصفية تحليلية

د. نعمان عبدالحميد بوقرة (*)

تتصدر اللسانيات، منذ ما يزيد على نصف قرن، مكانة مرموقة ومتميزة في سلم العلوم الإنسانية والاجتماعية والدقيقة أيضا، ولعل من أهم العوامل التي تؤكد هذه الأهمية ارتباطها بأهم موضوع في حياة الإنسان ووجوده، ألا وهو موضوع اللغة. وتُرَدُّ أهمية هذا الموضوع إلى حاجة الإنسان القصوى للتعبير، والتبليغ بوساطة الكلمات عن الأفكار والأحاسيس. فهي المسؤولة - أي اللغة - عن تجسيد العالم المثالي والممكن، في الواقع الإنساني بكل تجلياته المادية والروحية.

ومن ناحية أخرى شكلت اللسانيات في الحقبة الأخيرة، وتحديدا مع بدايات القرن العشرين ثورة كوبرنيكية، ومنهجية في صعيد النظر إلى الظاهرة اللغوية، وكيفية التعامل معها باعتبارها وسيطا فعالا لنقل الخبرة العلمية، وتفعيلها ماديا ثم تطوير آفاق البحث فيها، وفي ضوء هذا السياق المعرفي تتنزل دراستنا هذه الموسومة بـ «اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية»، دراسة وصفية تحليلية، متسقة ومنسجمة مع أبحاث عديدة، ودراسات متنوعة، تحاول تقريب المناهج اللسانية الحديثة وقيمتها الإجرائية إلى القارئ العربي، الذي يحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى إدراك واع للنظرية اللسانية الحديثة، بكل تفاعلاتها وتعدديتها؛ للاستضاءة بها في تقويم الفكر اللساني العربي قديمه وحديثه، والتأسيس لتوصيف لغوي عربي حديث، ينهض بأعباء المسؤولية الجماعية تجاه اللغة العربية بمخزونها التراثي الضخم، وتفاعلاتها الثقافية الراهنة.

لقد غدت الحاجة إلى تعميق هذه المعرفة الجديدة القديمة مطلبا حضاريا بالدرجة الأولى، في وقت تتعالى فيه الأصوات من هنا وهناك، ناعية حال اللغة العربية في واقعها الاستعمالي

(*) أستاذ اللسانيات المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.

والبحثي، بل ربما زعمنا - هاهنا - استحالة عولمة اللغة العربية وثقافتها، ما لم يفتح البحث في قضاياها بابه على مصراعيه؛ للاستزادة من المناهج اللسانية الحديثة في مستوى اللفظ والقول، على وعي منا بالخصوصية الثقافية، والحمولة التراثية المميزة التي تتأسس عليها النظرية اللغوية العربية. ولقد أقام البحث دعائمه على فكرة مركزية، مفادها موقع النظر اللساني الغربي في مسار، وتشكل الكتابة اللسانية في المملكة العربية السعودية بخاصة، بوصفها امتدادا وحلقة في تفاعل الفكر اللغوي العربي الحديث مع مناهج اللسانيات الغربية بشقيها الأوروبي والأمريكي في مد العولمة الجارف. وتحقيقا لهذا التوصيف سعى البحث إلى تتبع واستقراء أعمال لغوية تنظيرية، وأخرى تطبيقية أعدتها أقلام سعودية، تخصصت في الدراسات اللغوية العامة والتطبيقية حاولت الإفادة من مقولات جوهرية في اللسانيات الحديثة.

لقد ارتأت الدراسة وصف هذه الجهود بتوزيعها على حقول معرفية تحدد اختصاصها، وإبراز المبررات العامة لشيوع اختصاص دون آخر، في ضوء عاملين أساسيين؛ أما أحدهما؛ فداخلي يتعلق بتطور التفكير العلمي في المؤسسات الجامعية الأساسية، وأما ثانيهما فخارجي يرتبط بتطور المعرفة اللسانية الحديثة، وتأثيرها في الراهن اللساني العربي في جميع البلدان العربية، في الصعيدين النظري والتطبيقي. كما أن الدراسة في مسعاها الوصفي ارتأت التوقف عند تلك الجهود العلمية، التي تأطرت بعلم الأصوات والمورفولوجيا والمعجم والدلالة، بالإضافة إلى جهود أخرى انفتحت على الأنساق النفسية والاجتماعية والثقافية الأخرى، مما يأتي بيانه. أما البحث في النحو بمفهومه المضيق، أو علم التراكيب، فقد استثني في هذه القراءة، بالرغم من أهميته الأساسية في بناء نظرية اللغة، بل لا يتم الوصف والتقويم من دونه، ولعل الاستثناء راجع في نظر الباحث إلى سببين رئيسيين، لا يغفل عنهما القارئ، فأما **الأول** فتوسع البحوث في موضوعات النحو والتركيب نظرية وتطبيقا، في جلّ ما كتبه الباحثون السعوديون رسميا، من خلال الرسائل الجامعية، والبحوث المحكمة التي تسنى لنا الاطلاع عليها، أو من خلال الدراسات الحرة الأخرى؛ **وأما الثاني** فراجع إلى توجه تلك الدراسات وجهة تراثية، تعتمد قراءة التراث بأدواته، وإطاره النظري، غير منطلقة من مفاهيم أو تصورات لسانية حديثة، في الوقت الذي تسعى فيه هذه الدراسة إلى تتبع مسالك البحث اللساني الحديث من خلال استقراء المدونة العلمية السعودية في مجال البحث اللغوي المنجز.

انخرطت دراسات لغوية عربية عديدة في الفترة الأخيرة في مسيرة التأسيس لنظرية لسانية عربية، تقوم على وصف اللغة في راهنها الحي، في ضوء توجهات لسانية حديثة؛ بنوية وصفية أو توليدية أو وظيفية أو تداولية[1]، وحاولت القراءة النقدية من خلال المراجعات اللسانية المتعددة، تقويم ما أنجز في هذا المجال، ولنا أن نذكر في هذا السياق بعض الدراسات، التي انطلق منها البحث لتوصيف المنجز اللساني السعودي بخاصة والعربي بعامة، وعدّها نقطة الارتكاز، والمؤطر

المنهجي والمعرفي، ومن ذلك دراسات مصطفى غلفان[2]، وسعد مصلوح[3]، وحافيظ إسماعيلي علوي، وأمحمد الملاخ[4]، وعطا محمد موسى[5].

إن سياق توصيف المنجز اللساني في المملكة العربية السعودية يستدعي خطة عملية ترتكز على مفاصل الدراسة اللسانية، إذ لا بد من معاينة الواقع الكتابي في مستويات النسق اللساني في جوانبه الصوتية والصرفية والتركيبية[6]، والمعجمية والدلالية، باعتبار هذه الجوانب المقومات الأساسية لشكلية النظام اللغوي، ثم الانفتاح على سائر الأنساق غير اللغوية التي تؤطر علاقة اللغة بالمجتمع والنفس الإنسانية، فيتداخل الوصف اللساني المجرد، مع البحث في وظائفية الأبنية، وتفاعلها مع صاحب اللغة، متأثرة بالجوانب النفسية، والإدراكية، والعصبية، والاجتماعية، والثقافية المختلفة، ولما كان الأمر بهذه الصفة فإن أول مداخلنا لوصف الكتابة اللسانية، هو المدخل الصوتي، ثم نتقدم متدرجين حتى نصل إلى مجالات الماكرو لسانيات، أو اللسانيات الموسعة على حد اصطلاح فردينان دي سوسير (F.D.Saussure).

أ - اتجاهات البحث في الدراسة الصوتية

عني العرب منذ أمد بعيد بالدراسات الصوتية، وما كانت هذه العناية إلا صورة من صور وعي اللغوي العربي بأهمية الصوت في النسق اللساني للغة، هذا الوعي الذي أدركته أمم أخرى منذ لحظة ميلادها الأول؛ فأنتجت عبر هذا الوعي الأبجدية، ونظم الكتابة المختلفة، في إشارة منها إلى فهمها لخاصية التقطيع المزدوج للغة، والتي نوه بها لسانيون معاصرون في القرن العشرين، يتصدرهم أندريه مارتنيه (Andret Martinet) مؤسس الاتجاه الوظيفي في اللسانيات الفرنسية[7]، وعلى الرغم من قلة الإمكانات التكنولوجية، أو لنقل انعدامها في ذلك الزمن، فقد استطاع اللغوي العربي النفاذ إلى خصائص الصوت، فوصفه من خلال كيفية نطقه، والمراحل التي يمر بها، منذ حالته الهوائية في حركة الزفير، حتى يصبح حدثا مسموعا، وبتطور علم التشريح في زمن ابن سينا الطبيب ازدادت معرفة العلماء بالظاهرة الصوتية بعامة، والنظام الصوتي للغة العربية بخاصة، تاركين إرثا لا تستغني عنه الدراسات الصوتية الحديثة[8]، غير إن اعتمادهم على الملاحظة الذاتية منعت من وصولهم إلى بعض الحقائق اللسانية في البنية الصوتية، مما سعى المعاصرون إلى تجليته[9]، ومع ذلك نكاد نقرر بعد متابعة لفيف من الدراسات الصوتية العربية الحديثة التي تسنى لنا الاطلاع عليها، أنها لم تخرج عن الإطار الوصفي الذي أسس له السلف، بالرغم من اختلاف أدوات البحث، والصدور المنهجي عن مقاربات معرفية مختلفة، فقد حاول بعض لغويينا الاسترشاد بها؛ لإعادة وصف منظومة الأصوات، مركزين على الجانب السمعي من ناحية، وعلى الظواهر التطريزية للكلام.

من ناحية أخرى مثل: النبر (Accent) والتنغيم (Intonation)[10]وأثرهما في توجيه دلالات الخطاب[11]، ولعلنا نرى أن الدرس الصوتي في الخطاب اللغوي في المملكة لا يختلف من حيث ملامحه الموضوعية والمنهجية وأهدافه، عما هو سائد في البحوث الصوتية العربية، فهو - إن شئنا - مجرد ترداد لما ذكره الأوائل، مع محاولة لتطعيمه ببعض نتائج المختبرات الصوتية، التي تحاول وصف الصوت باستخدام التكنولوجيا، بل إننا نلمس زهدا في العناية بهذا الجانب في مجال الدراسات اللغوية الأساسية المقدمة في الجامعات السعودية مثل:

جامعة الملك سعود، ومرد ذلك ندرة المتخصصين في الصوتيات، ممن يمكن أن يكونوا مؤطرين لبحوث أكاديمية في هذا الحقل اللغوي، الذي تحتاج إليه البحوث في اللغة العربية، وقد تكون هذه الندرة مرتبطة بعدم اقتناع الباحث السعودي بجدوى البحث في الظاهرة الصوتية من منطلقات لسانية حديثة، والاكتفاء بما قدمه علماء الأصوات العرب مثل: ابن يعيش **وابن جني، وعلماء التجويد والقراءات**، وربما كان توهم عدم تغير اللغة العربية، وثباتها في ما يعرف بأسطورة اللغة الخالصة، ووهم النقاء وراء عدم الاشتغال بالظاهرة الصوتية، وفي هذا السياق يطالعنا في ميدان الدراسات الصوتية كتاب «الصوتيات العربية» لـ منصور بن محمد الغامدي[12]، الذي يقدم فيه صاحبه أهم القضايا المفصلية التي يقوم عليها علم الأصوات العام، والصوتيات العربية بخاصة، وهذه الدراسة مثل غيرها من الدراسات العربية الحديثة تقدم بين يدي القارئ تصورا تمهيديا عن اللسانيات من حيث مفهومها، ونشأتها بين القديم والحديث بصورة مختصرة، ومستويات اللغة المتصلة بموضوع الدراسة، وهما: المستوى الصوتي (الأصواتي)، والمستوى الفنولوجي، كما يقسم الباحث الصوتيات إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

الصوتيات النطقية، والصوتيات الأكوستية، والصوتيات السمعية، مفصلا كل قسم على حدة، من خلال تركيزه على وصف جهاز النطق عند الإنسان[13]. أما محور أصوات العربية فقد خصص لإبراز خصائص الأصوات في اللغة العربية من خلال تحديد العناصر التالية: 1 - مصدر الطاقة. 2 - مخرج الصوت. 3 - كيفية النطق في مستوى الصوامت. كما عنيت الدراسة بتعريف الصائت وكيفية نطقه، وصفاته الأساسية في العربية، هذا وشغل الباحث ببيان التضعيف والمقطع والفوقطعي، ويعني بهذا المصطلح ظواهر التطريز الصوتي المجاوزة للصوت، مثل النبر والتنغيم وسرعة الكلام[14]. وفي خاتمة هذا المحور يقرر الباحث احتواء العربية على ستة وثلاثين صوتا منها؛ ستة صوائت مفردة وصائتان مزدوجان، ثلاثة من الصوائت المفردة القصيرة، ولكل منها نظير طويل، أما عدد الصوامت فثمانية وعشرون، منها ثلاثة عشر صوتا احتكاكيا، والبقية تنطق بطرق مختلفة منها الأنفي والوقفي والتكراري والجانبي، كما أن المخرج اللثوأسناني يستحوذ على عشرة صوامت بينما، تتوزع البقية على عشرة مخارج من الشفتين إلى الحنجرة[15]. وفي المحور الخامس يعرض الباحث مفصلا إلى جهود القدماء في الدرس الصوتي، مبينا عنايتهم

بالمجال النطقي عناية ظاهرة، وفي هذا السياق تعرف القدامى على مكونات الجهاز النطقي، والعملية النطقية، والصفات التي تميز الأصوات أثناء النطق بها، ثم يعمد الباحث إلى المقارنة بين تصنيف القدماء، وما قدمه المحدثون في مجال الدراسات الصوتية، فيقرر اختلاف الرؤيتين مبدئيا، من خلال عرضه ثلاثة احتمالات نسوقها بين يدي القارئ هي:

1 - إن وصف اللغويين القدماء كان دقيقا، ومطابقا للمصطلحات الحديثة، لكن هناك تغيرات لحقت الأصوات التالية: /ط/، /ض/، /ج/، /ق/، /ع/، /ء/.

2 - إن المصطلحات المستخدمة من قبلهم مطابقة لما عرضه المحدثون، بيد أن الخلاف كان في الوصف، إذ يبدو أن وصفهم لم يكن دقيقا بما يكفي.

3 - لا توجد مطابقة بين مصطلحات القدماء ومصطلحات المحدثين، وبعد مناقشة مستفيضة لهذه الفرضيات يخلص الباحث إلى أن الاحتمال الأول هو الأقرب إلى الواقع العملي للغة العربية ولهجاتها عبر التاريخ[16]. أما في المحور السادس فإن البحث يركز على الجانب الأكوستيكي لعملية النطق، إذ يستعرض الباحث جوانب العملية النطقية، ومراحلها الفيسيولوجية والفيزيائية، وبالنسبة إلى هذا الجانب يميز بين أصوات من دون صوت وأصوات ذات ترددات غير منتظمة، وأخرى ذات ترددات منتظمة، في ضوء وصفه للصوائت بأنواعها؛ القصيرة والطويلة والثنائية وأشباه الصوائت، بالإضافة إلى الصوت الجانبي والأصوات الأنفية[17].

إن العملية الكلامية تظل عديمة الجدوى والفائدة؛ إذ ما تجاهلنا الجانب السمعي الإدراكي فيها، وفي سبيل إيضاح أهمية هذا الجانب في اكتمال العملية الكلامية؛ عمد الباحث إلى وصف مكونات السماع من خلال تشريح الجهاز السمعي، وتعريف مكوناته؛ من أذن خارجية، وأذن وسطى، وأذن داخلية، كما يؤكد اعتماد السامع على المشعرات الأكوستية (acoustic cue) لتمييز الأصوات، بناء على خصائصها الفيزيائية[18]، وهي خاصية في كل لغة، مشيرا إلى غياب الدراسات العربية في هذا الموضوع. هذا ويقوم الجهاز السمعي بعكس ما يقوم به الجهاز النطقي، من تحويل للموجات الصوتية إلى إشارات عصبية، ترسل إلى الدماغ ليتم تحليلها وتصنيفها، وعندما تكون الموجة الصوتية لغوية فإنها تتعدى المستوى الأكوستي إلى المستوى الفونتيكي الذي تتم فيه عملية تحديد المشعرات الأكوستية، ومن ثم التعرف على الأصوات اللغوية[19]. كما يحرص البحث على ربط المعرفة النظرية بالجانب التطبيقي، وذلك من خلال التنويه بأهمية الصوتيات التطبيقية في تاريخ العلم اللغوي، وجدوى الاستعانة بها لخدمة اللغة العربية، وترقيتها، وتطوير البحوث اللغوية حولها، ومما سجله الباحث في هذا الجانب الضعف الكبير الذي أصاب البحث اللغوي العربي قياسا بما أنجز في الغرب. وما هذا الضعف - في نظر الباحث - إلا لهيمنة روح التواكل على الباحث العربي، وركونه إلى ما قدمه الأوائل لاعتقاده بالكمال فيه[20].

إن ما يمكن الاعتناء به في صعيد الدراسة الصوتية التطبيقية البحث في:

1 - **صوتيات القرآن الكريم**؛ إذ لم يعد مجديا الاكتفاء بوصف علماء التجويد للمد والحركة في ضوء التطور التكنولوجي للآلة المسجلة للصوت، أو المحللة لتموجاته وتردداته، مما يعني إمكان الإفادة من الحاسوب - مثلا - في دراسة الموجة الصوتية للمقرئ المعين، وتمييز التردد المقبول من غيره، وكيفية التعرف على الناطق من خلال صوته (البصمة الصوتية)، وما إلى ذلك من المزايا التي تقدمها الآلة للعلم الحديث[21].

2 - **الصوتيات واللسانيات**، فمما لا يمكن إغفاله عدم إمكان بناء علم لساني في ظل غياب معرفة صوتية دقيقة، وبمعنى أدق لا يمكن تأسيس لسانيات للغة العربية أمام هذا الضعف الذي تعانيه الصوتيات العربية في عالمنا وجامعاتنا. إن كثيرا من الأوهام اللغوية السائدة في أوساط الدارسين العرب للغة العربية من حيث خصائصها الصرفية والتركيبية راجع إلى عدم الإلمام بالجوانب الصوتية بخاصة، ما تعلق بالتغيرات الصوتية وطبيعتها وأشكالها[22].

3 - **الصوتيات وتعليمية اللغات**، لعله من الضروري الإسراع بإعداد دراسات صوتية معملية تهتم بالمشعرات الصوتية في اللغة العربية، فذلك سيساعد - كما هو الحال في الغرب - في علاج اضطرابات التخاطب والسمع، وحالات تأخر اكتساب اللغة الأم عند الأطفال[23]، وعقبات صوتية تواجه متعلمي اللغات الأجنبية الذين هم في أمس الحاجة إلى قيام دراسات تحليلية علمية للمنظومة الصوتية العربية.

لقد دافع الباحث في دراسته هذه دفاعا مستميتا، عن مشروعية الصوتيات العربية، وضرورة العناية بها في الجامعات، ومراكز البحث اللغوية المختلفة إذ لا يمكن أن تقوم نهضة لغوية من دونها، وكان من صور الاحتجاج لهذه القيمة ربطه بين الصوتيات وعلم النص، إذ يمكن الإفادة من المعطيات الصوتية لدراسة بعض مظاهر الانحراف في الخطاب الإشهاري (الدعاية لسلعة أو ماركة معينة)، وفي هذا السياق يسوق الباحث خبر رفع دعوى قضائية تقدمت بها إذاعة أمريكية (wmee) على إذاعة أخرى لها اسم شبيه (wmcz) بحجة أن اسم الإذاعة الناشئة شديد الشبه باسم الأولى، مما سيضر بمصلحتها وسمعتها، فاستعان المحامي بخبير في الصوتيات من جامعة إنديانا أثبت تجريبيا أن الاسمين متشابهان لدرجة إرباك السامع، وهذا بعد تحليل الموجات الصوتية للكلمتين! وفي هذا السياق يضرب الباحث أمثلة أخرى جديرة بالتدبر مثل (أديداد، أديباس)، (كلوركس، كوينكس)، (ديتول، داك)، (هيد أند شولدر، هيراند شولدر)، (NBC,MBC) وغيرها[24]، كما يعرض الباحث إلى إمكانات الإفادة من التحليل الصوتي المعملي في علم الجريمة والاتصالات السلكية واللاسلكية، وتوليد الأصوات وإدراكها آليا؛ فقد اخترعت ألعاب تستجيب لبعض الأوامر الصوتية، مما يبشر بحدوث نقلة نوعية في ميدان تعرف الآلة على الصوت البشري، وتحليله وإعادة صناعته[25].

إن هذه الدراسة، على إيجازها وبساطة لغتها، يمكن عدها نموذجا لغويا تمهيديا للدراسة الصوتية في المملكة العربية السعودية، تقف بجوار مثيلات لها في الوطن العربي؛ لتعرف بعلم الأصوات للقارئ العربي، والقضايا الحيوية التي تتوجه أنظار الدارسين لها في عصرنا، كما لا يخلو البحث من جدة وعمق ومنهجية تحسب له[26]. كما يرتبط بالدراسات الصوتية في المملكة الاهتمام بأعلام التراث الصوتي العربي، ولعل ما كتبه «محمد حسن باكلا»[27] حول «ابن جني» في دراسته باللغة الإنجليزية «ابن جني عالم الصوتيات، مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب المسلمين الأوائل»، ما يشفي غليل الدارس في مجال معرفة الجهود العربية القديمة في التأسيس للصوتيات النطقية، وتقوم الدراسة على الفصول التالية:

1 - عصر ابن جني. 2 - الموصل في القرن الرابع الهجري. 3 - سيرة ابن جني. 4 - أعمال ابن جني. 5 - مكانة سر الصناعة بين كتبه.

أما القسم الثاني فقد خصص للدراسات الصوتية عند «ابن جني»، وعرض فيه للمسائل التالية:

1 - بعض الأفكار اللغوية لدى ابن جني مثل: تعريف اللغة، وأصلها، ونظرية الاشتقاق الأكبر، والدراسات اللهجية، والسماع والقياس والوحدات اللغوية، كما عرض لمفهوم الصوت والحرف عنده، وتمييزه الواضح بين الصوائت والصوامت، باعتماد معايير تقسيمية تتعلق بالأداء والسمع والتوزيع، وفي الفصل الخامس من هذا القسم تناولت الدراسة الترتيب الألفبائي والصوتي للعربية؛ تمهيدا لتصنيفها، بناء على المخرج في الفصلين السادس والسابع، والذي استغرق دراسة الصوائت القصيرة والطويلة في العربية من وجهة نظر ابن جني، مسترشدا ببعض التجارب المعملية الحديثة في الغرب، كما خصص الفصل الثامن لدراسة صفات الأصوات، بينما عرض الفصل التاسع لأنماط الصوت في اللغة العربية من خلال دراسة توزيع الحروف وفق مواقعها، وترتيبها، كما طرق البحث العلاقة الكائنة بين المستويات اللغوية في النظام اللغوي، من خلال وصف العلاقة الكائنة بين الصوت والصيغة، وذلك من خلال بحث أنواع المماثلة التقدمية التامة، وغير التامة، والمماثلة الرجعية التامة، وغير التامة والمماثلة المتبادلة، والمخالفة والحذف والقلب المكاني، بالإضافة إلى تسليط الضوء على التنوعات اللهجية، والفرق بينها وبين التنوعات الفردية والأسلوبية، أما الفصل الحادي عشر فقد لخص مواقف العلماء قديما وحديثا من مؤلفات ابن جني اللغوية، وختم البحث بخاتمة بأهم النتائج، مذيلة بمسرد لمصطلحات ابن جني؛ عربي وإنجليزي، فضلا عن المراجع المختارة التي أفاد بها البحث قراءه، وفهارس عامة ورسوم وجداول توضيحية ثرية تخللت البحث، وكانت معلما مميزا له في البحوث الصوتية العربية الأساسية. كما عني «محمد حسن باكلا» بجوانب تعليمية تتصل بتدريس العربية لغير الناطقين بها، وذلك من خلال كتابه «القراءة العربية للمبتدئين»، ودراسته عن أصوات العربية وحروفها للناطقين

وغير الناطقين بها، وفي مجال الدراسات اللغوية التطبيقية، بخاصة الجانب الاصطلاحي المعجمي يطالعنا بمعجمين أحدهما في اللسانيات الحديثة، وهو: «معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، عربي إنجليزي، و«معجم مصادر الدراسات اللغوية العربية»، وهو مدخل منهجي ييسر للقارئ العربية مهمة الحصول على البيانات والمعلومات المتصلة بأهم مراجع الدراسة اللغوية العربية، فعمله أشبه بعمل المفهرسين، ولا يخفى على أحد ما لهذا العلم من فوائد عملية في تيسير الحصول على المعلومات، وتقريبها من القارئ. كما يمكن التنويه بدراسات صوتية أخرى أنجزت في بعض الجامعات السعودية، مثل: دراسة هيفاء عبدالحميد كلنتن، والموسومة بـ دراسة الأصوات وعيوب النطق عند الجاحظ، وهي بحث ماجستير بجامعة أم القرى سنة 1409هـ، ودراسة عبدالرحمن بن حسن العارف حول ظاهرة التماثل عند توالي الأصوات العربية الصامتة، دراسة نظرية تحليلية استقرائية، وهي رسالة ماجستير أنجزت بجامعة أم القرى سنة 1409هـ، ودراسة سعد الغريبي الموسومة بـ الأصوات العربية وتعليمها لغير الناطقين بها من الراشدين، بمعهد تعليم اللغة العربية، وهي رسالة ماجستير، نوقشت سنة 1405هـ[28].

ب - اتجاهات البحث في الدراسة المورفولوجية

سلك علم الصرف أو المورفولوجيا مسارا مستقلا عن الدراسات الصوتية والتركيبية، على الرغم من ارتباطه الشديد بهما بخاصة في بدايات التأليف اللغوي العربي، مما يمكن تلمسه بوضوح عند سيبويه في كتابه في باب الإدغام، إلا أن تشعب المسائل النحوية، وتنوعها فرض على الدارسين تخصيص بحوث مستقلة تهتم بالمباحث التصريفية والاشتقاقية، التي تهتم بالأوضاع الشكلية المتغيرة للفظة العربية[29]، فكان أول بحث صرفي عرفته الدراسة اللسانية العربية كتاب التصريف لـ أبي عثمان المازني (ت 248هـ)، ثم تلته بحوث أخرى، أسست لقواعد صياغة الكلمة، ووصف تغيراتها الظاهرة، وتعليل أسباب حدوث هذا التغير البنوي، ولنا أن نذكر في هذا الإطار: «الممتع في التصريف» لـ ابن عصفور الإشبيلي (ت 669هـ)، و«المفتاح في علم الصرف» لـ عبدالقاهر الجرجاني (ت 471هـ) وغيرهما، إلا أن النظرة إلى علم الصرف أخذت تتحدد بتأثير المفاهيم اللسانية الغربية في الدراسات اللسانية العربية الحديثة في الثلث الثاني من القرن العشرين، فعدّ الصرف علما واصفا لأشكال اللفظة المختلفة، قصد إبراز قيمتها الوظيفية والتمييزية للمعاني؛ فاختلاف أشكال اللفظة (صيغها) هي ملامح تمييزية تفرق بين المعاني، كما أعيد النظر في مفهوم الكلمة نفسها، فهذا المصطلح يظهر نوعا من الغموض بسبب إطلاقه على أنساق غير متجانسة من حيث الشكل والوظيفة، فاقترح بديل له في الدراسات الصرفية الحديثة هو المورفيم أو المونيم، على اختلاف المدارس اللسانية في المصطلح[30]، فتكون نتائج الصرف موطئة

لدراسة التركيب النحوي والنصي، ولعلنا نقرر في هذا السياق بالنظر إلى أهم ما كتب حديثا في الصرف العربي، أن هذا القطاع من الدراسات قد انتعش بسبب الإفادة من الرؤية اللسانية الحديثة التي تقدم النظام الصرفي في اللغة بعدّه نتاجا للنظام الصوتي، ومقدمة ضرورية للنظام التركيبي ضمن مفهوم البنية الوظيفية، كما أفاد الدرس الصرفي من نتائج الدرس المقارن بين بنية الكلمة في العربية، ومثيلتها في اللغات السامية. أما على صعيد عرض، واستقصاء نماذج الدراسات الصرفية في المملكة، فإن ما أنجز في هذا الإطار لا يخرج كثيرا عمّا ألف في الدرس الصرفي التراثي، ودلائل ذلك بادية في بعض الرسائل الجامعية التي وقعت بين يدي الباحث بخاصة في العشرية الأخيرة، في بعض الجامعات التي توصل إليها مثل: جامعة الملك سعود، وجامعة الملك عبدالعزيز، وجامعة أم القرى، ومن أمثلة هذه البحوث: ما كتبه زارع الشهري حول «المصدر الصناعي في العربية المعاصرة، دراسة لغوية معاصرة» سنة 1409هـ، ودراسة جمعان القحطاني حول: «التذكير والتأنيث»، في علم اللغة التطبيقي، وهي رسالة ماجستير نوقشت سنة 1409هـ، ورسالة عبدالله العمير في الزوائد العربية، والتي نوقشت في سنة 1400هـ، ومن الدراسات الصرفية المتصلة بعلم اللهجات دراسة سلمان السحيمي حول «إبدال الحروف في اللهجات العربية»، والتي نوقشت بالجامعة الإسلامية سنة 1407هـ. كما نلفي العناية بالمستوى الصرفي في أطروحة دكتوراه في اللسانيات التقابلية لمنى طارق حمودة، والموسومة بـ تحليل تقابلي للنظام الصوتي والصرفي للغة العربية الفصحى، إذاعة المملكة العربية السعودية، واللغة الإنجليزية (هيئة الإذاعة البريطانية)، والتي نوقشت سنة 1410هـ.

ج - اتجاهات البحث في الدراسة المعجمية

من المتعارف عليه اهتمام الدرس المعجمي العربي منذ بدايات تأسيسه بموضوع المعنى الوضعي للفظة في اللغة، وما يرتبط به من معان ثانوية سياقية، غير أن عملية جمع المعاني المعجمية لم تقم على مبدأ تاريخي يستقصي أولية المعنى وتطوره، كما حدث في المعاجم التحليلية الاشتقاقية في اللغات الغربية[31]، ولهذا الاختيار - في الحقيقة - ما يبرره من ظروف حضارية معينة واكبت نشأة المعاجم في اللغة العربية، على رأسها حصر ووصف معاني مفردات القرآن، وإثبات علاقتها باللغة العربية، ثم تطور التأليف المعجمي حتى أضحى صنعة قائمة بذاتها لا يتصدى لها إلا كبار اللغويين، مما أسهم في نضج الضبط المنهجي للمعاجم لتراكم الخبرات في هذا السياق، ثم توسعت الدراسات المعجمية في الوطن العربي على امتداد القرن العشرين مستفيدة من:

1 - الرافد المفرداتي الزخم الذي عرضته المعاجم العربية التراثية، وسعت إلى إثرائه المجامع اللغوية المهتمة بالمسألة الاصطلاحية.

لقد كان لعلم الدلالة في التراث العربي شأن كبير، بل يمكن القول إن الفكر اللغوي العربي في بعده التطبيقي كان قائما على وصف المعنى، وتحليل أنماطه المختلفة، فقد كان علم الدلالة من أول فروع البحث اللساني العربي ظهورا عندما نزل القرآن يتحدى العرب ببيانه وإعجازه، حاملا بين طياته ثورة أدبية واجتماعية وأخلاقية ومعرفية ولغوية فتحداهم في أعز ما يملكون ويعرفون، وبه يتفاخرون، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز، تبحث في دلالات ألفاظه، فتنوعت وتعددت، وكان منها البحث في غريب ألفاظه، وقد أُسست هذه الدراسات على منهج وصفي استقرائي يتتبع اللغة في ألفاظها ومواضعاتها قصد تحديد المعاني، التي يتوقف على فهمها فهم الكتاب[43]، وتمتد البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث إلى الخامس الهجرية، ثم إلى سائر القرون التالية له، وهذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجا أحرزته اللغة العربية وثقافته[44]، فكان البحث في دلالة الكلمات مما لفت نظر اللغويين العرب، وأثار اهتمامهم، وفي هذا السياق تعدّ الأعمال اللغوية المبكرة من مباحث علم الدلالة مثل: تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وإنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا، قام على أسس علمية ومنهجية، لا تختلف عن كثير مما وصلت إليه نظريات الدلالة الحديثة[45].

تنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك، فغطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية من ذلك: محاولة ابن فارس في معجمه المقاييس ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها، ومحاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، ومحاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد. كما عقد الأصوليين أبوابا للدلالات في كتبهم تناولت موضوعات متنوعة مثل: دلالة اللفظ، ودلالة المنطوق والمفهوم، وتقسيم اللفظ من حيث الظهور والخفاء، والعموم والخصوص، والتخصيص والتقييد والترادف والتضاد والاشتراك ودلالة التضمن والالتزام والمطابقة. بالإضافة إلى دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلفات الفلاسفة مثل: الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي والخوارزمي وابن حزم وغيرهم[46].

أما البلاغيون فتمثلت جهودهم في دراسة الحقيقة والمجاز، ودراسة كثير من الأساليب، مثل: الأمر والنهي من ناحية علاقة التركيب بالمعنى في السياق، وفي نظرية النظم للجرجاني مثل حي على مركزية البحث الدلالي في الهم اللساني العربي، إذ تعد - كما هو معلوم - بؤرة الدرس الدلالي العربي، بالإضافة إلى عنايتهم الفائقة بالمعنى السياقي، وعلاقة المقال بالمقام[47].

إن الناظر الآن فيما كتب في مجال علم الدلالة من خلال مسارد الموضوعات المسجلة في الجامعات التي اتصل بها الباحث يخرج بتصور عام يقوم على ضرورة التمييز بين نوعين من البحوث هي:

1 - بحوث دلالية تأصيلية، تقوم على استكشاف نظرات العرب القدماء في مسألة تشقيق المعنى وأنواع الدلالات باعتماد معايير متعددة، تعود إلى المنطق أو علم الكلام أو أصول الفقه أو علم البلاغة، وما يمكن التمثيل به في هذا السياق دراسة الماجستير المناقشة بتاريخ 1415هـ بآداب البنات بكلية الرياض الموسومة بـ الدلالة في كتب فقه اللغة للجوهرة محمد أبانمي، ودراسة موسى العبيدان حول: «دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين»، وهي أطروحة دكتوراه نوقشت سنة 1412هـ.

2 - بحوث دلالية وصفية تسعى إلى تحليل دلالات الألفاظ والتراكيب في المدونة الكلامية الشعرية أو النثرية القديمة أو الحديثة باعتماد وجهة نظر حديثة في علم الدلالة الغربي، ويندرج في هذا الإطار بحث دكتوراه لردة الله الطلحي حول دلالة السياق اللغوي[48]. ودراسة الماجستير لنياف بن زرقان هليل العنزي الموسومة بـ تعدد المعنى النحوي لتعدد المعنى المعجمي، وهي دراسة حاولت الجمع بين منحيين في الدراسة اللغوية هما؛ المنحى النحوي والمنحى المعجمي.

إن الدراسات الدلالية التي أنجزت بأقلام علمية سعودية، مما اطلعنا عليه يمكن أن يقال بشأنها - عموما - أنها لم تكن بالمستوى العام شاملة، ومستقصية لجوانب المسألة الدلالية، يشهد لذلك قلتها، إذا قارناها بدراسات النحو والإعراب[49]، ولعل هذا القصور راجع إلى عدم تحديد موضوع علم الدلالة، ووضوح غاياته وأهدافه لدى الدارسين، وقلة الاطلاع على ما جدّ من دراسات دلالية عربية وأجنبية، وفي هذا السياق تستوقفنا دراسات تراثية للمعنى الذي ظل الموضوع المفضل لتخصصات غير لغوية مثل: التفسير والدراسات البيانية القرآنية.

هـ - اتجاهات الدراسة اللسانية الاجتماعية والأنثروبولوجية ونظرية تحليل الخطاب

إن الدراسة الاجتماعية للسان البشري معنية أكثر من غيرها بوصف العلاقة القائمة بين النظامين اللغوي والاجتماعي، وتأثير أحدهما في الآخر، بالإضافة إلى أهداف أخرى يسعى هذا الدرس إلى تحقيقها، يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - إن الدرس اللغوي الاجتماعي التطبيقي مفيد في بيان أهم الطرق والوسائل المجدية في تعليم اللغات المختلفة، من خلال إبراز الصعوبات اللغوية ذات الطبيعة الاجتماعية التي تواجه المتعلمين والمعلمين.

2 - إمكانية دراسة البنية اللغوية، وعوامل التطور الاجتماعي، وأثر كل من الاحتكاك الاجتماعي والهجرات والعمران والعزلة في نمو وتطور اللغة في مختلف المستويات.

3 - دراسة التنوعات اللهجية، وتفرع اللغات، بل إن هذه الدراسات الميدانية لخير وسيلة إلى معرفة المعرب والدخيل والفصيح والعامي في اللغة المعينة.

4 - أهمية الدرس الميداني في عملية التخطيط اللغوي قصد تنمية لغوية شاملة.

5 - أهمية التحليل اللغوي الاجتماعي في الدرس المعجمي الحديث؛ إذ يتيح هذا المدخل للمعجمي معرفة الحاجات اللغوية والاجتماعية في إطار جمع الذخيرة اللغوية، وإعداد المعجمات المتخصصة في بيئة لسانية معينة، ويبحث هذا الفرع في العلاقة الكائنة بين النسق الثقافي واللغة، فيركز على صور التوازي بين أنماط التفكير والعادات وأنظمة القرابة بين المجتمعات البدائية بدرجة رئيسة وكيفية استعمالها للغة في التعبير عن الفكر والانفعال، أما البحث الأنثروبولوجي في اللغات فيرتد إلى العالمين الأمريكيين سابير وورف اللذين ربطا بين نمط التفكير السائد بين أفراد جماعة معينة تختص بثقافة معينة، ونوعية اللغة المستعملة بينهم في التواصل، مما يعني أن اللغة بالنسبة إليهما مسؤولة عن تحديد الرؤية إلى العالم الخارجي(50)، وبمعنى أكثر تجريدا تعيش المجتمعات في عالمها اللغوي الذي يجسد في وجودها العالم المادي المحسوس، ولعل فرضية بنيامين لي وورف المنسوبة إليه (النسبية اللغوية) تمثل ظاهر لهذا الرأي الذي خالفه الكثيرون، ولعل صاحب الفرضية كان قد تورط فيما ذهب إليه بسبب محدودية العينة التي درسها، فقد كانت جل ملاحظاته منطلقة من واقع حال قبائل الهنود الحمر في الولايات المتحدة، غير إن بعض الباحثين وفي مقدمتهم كوندراتوف نقض فرضية وورف مقررا كون اللغة مؤثرة في أسلوب التفكير لا غير(51)، أما جوهره فقار، ثابت عند جميع الناس ذلك أن الجوهر انعكاس مادي للواقع بينما تمثل اللغة بالنسبة إليه أداة النقل، وهنا يختلف الناس في توظيفها، ومما يتصل بالبحث اللساني الأنثروبولوجي البحث في علاقة الفكر باللغة، إذ تتعدد وجهات النظر في طبيعة هذه العلاقة، وأسبقية أحدهما على الآخر، فبينما تنكر الوضعية الجديدة وجود الفكر، وتقر بكينونة اللغة من حيث هي وقائع رمزية تواصلية، تؤكد الفلسفة المثالية أولية وأهمية الفكر في الحياة الإنسانية، وتعاليه من جهة ثانية على الوجود اللغوي، وعلى صعيد آخر تقرر السلوكية بوجود نوع من الترابط والتماثل بين بنية الفكر وبنية اللغة، بل إن الفكر نفسه لغة ذهنية، أما المدرسة البنائية التي يتزعمها بياجيه فترى أن الارتقاء المعرفي يحدث أولا، ثم يتبعه الارتقاء اللغوي، وهذا دليل على اختلاف النسقين، وفي هذا السياق يقرر نوام شومسكي اختلاف اللغة عن الفكر، فلكل منهما تنظيمه الخاص.

إن المدخل الاثنولوجي دراسة تمكن الباحث من اكتشاف خصائص الحياة الثقافية للشعوب الحالية والبائدة على حد سواء؛ قصد الوصول إلى الملامح البشرية المشتركة، وهذا سيسهم إلى حد ما في تصنيف الأعراق البشرية تصنيفا لغويا وثقافيا، على ما في هذا التصنيف من مخاطر كبيرة تنأى بالدرس اللغوي عن العلمية والموضوعية المنشودة. وفي هذا السياق ربما يجوز إدراج

 

كتاب «اللغة والسحر» لـ فالح بن شبيب العجمي ضمن ما يعرف باللسانيات الاجتماعية في علاقتها المتداخلة مع اللسانيات الأنثروبولوجية.

لقد عرضت الدراسة إلى أسئلة محورية حول المسألة اللغوية باعتبارها هوية ومجتمعا ونسقا ثقافيا متغيرا عبر الزمان والمكان، مقررة منذ البدء صعوبة وخطورة هذا المسلك الذي يرمي إلى تحديد اللغة، وتشريح خصائصها من وجهات نظر منهجية مختلفة[52]. إن اللغة نسق غرضه التواصل بين البشر، تحقق لهم جملة من المنافع التي يمكن عدها ايجابيات للغة في حياتهم، لعل أهمها[53]:

1 - تحقيق الاستقرار النفسي للذات البشرية داخل المجموعة الأم.

2 - ترسيخ مبدأ التعاون الاجتماعي، ونقل المعارف والخبرات للأجيال السابقة.

3 - مواساة الحالات النفسية المتأزمة، والأمراض العضوية أيضا.

4 - إسهام اللغة في إنماء الوظائف العقلية.

5 - اللغة وسيلة ترفيهية[54].

أما بالنسبة إلى الوجه الآخر الذي يكشف عن سوء استخدام اللغة في حياة الإنسان، مما يعطي انطباعا بوجود سلبيات للغة تؤثر على شخصية الإنسان، ومصيره فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

1 - اللغة باعتبارها قوالب جاهزة تولد في الدماغ، تفرض حالة من التميز والانحياز إلى أفكار ومواقف تصنعها ليختارها الإنسان المستعمل لها في واقعه فهي أداة توجيه فكري بالدرجة الأولى.

2 - اللغة سبب لنشوء صور متعددة للصراع الاجتماعي بسبب تعدد تعريفاتها للأشياء والظواهر والمواقف والآراء العقدية، وفي هذا السياق فإننا نخالف الباحث الرأي، فالحقيقة أن المسؤول عن تعدد تعريف الشيء لا يعود إلى اللغة نفسها، بل هو من صنع الإنسان المفكر بها، ولنقل ببساطة اللغة لا تدل إلا إذا أردنا لها أن تدل على معنى معين نريده أن يكون ويتحقق!

3 - اللغة مصدر الهويات والقوميات المختلفة التي ما تلبث أن تقع تحت سلطة خطاب اللغة الساحرة، فتتحدر نحو الاختلاف والتناحر والانهيار؛ إذ تتحول اللغة ضمن الصراع بين الفئات والطبقات إلى أقوى وسيلة افتراء، وتشويه للحقيقة، وتغييبها من الواقع الإنساني[55].

تؤثر اللغة في الفكر، ويظهر هذا التأثير في نشوء فكر مطبوع بلغة معينة في مجتمع معين، فاللغة في المتعارف عليه مسؤولة عن تشكيل رؤيتنا للعالم الذي يحيط بنا[56]، مما يفسر اختلاف المجتمعات في تفسير الحقائق المادية ووصفها، من ناحية، وارتباط المكون اللغوي بالهوية والشخصية من ناحية ثانية يجعل الفكاك بين الوجهين أمرا عسيرا في الواقع العيني[57].

إن أمر ارتباط اللغة بالفكر يجعل قضية التخطيط لاستخدامها وفق أهداف معينة أمرا مطلوبا وضروريا؛ حتى تتسق التعابير والألفاظ المستعملة مع مواقف اجتماعية ونفسية وتاريخية، ولنا أن

نتوقف مع الدلالات المناورة للحقيقة التي تؤديها ألفاظ مثل: التدين، التعصب، الكرم، الشجاعة، الحرية وغيرها من الألفاظ شديدة الصلة بالواقع الاجتماعي[58]، هذا وتستنجد السلطة المجتمعية باللغة لتحقيق مآربها المعلنة والخفية من اضطهاد وتحيز وتأثير في سلوك المحكومين[59].

إن هذه السلطة المتعالية للغة شكلت لها في نظر الباحث مملكة مترامية الأطراف، تتأسس على دعائم صلبة يمكن عرضها من خلال ما يلي:

1 - نظامية اللغة، ورمزيتها، وفي هذا السياق يمكن الزعم بوجود تضاد خاص بين نظامية الرموز ونظامية اللغة.

2 - آفاق تطور المعرفة البيولوجية عند الإنسان إلى معرفة آلية صناعية في السنوات القادمة، وربما حمل لنا المستقبل ظهور ما يعرف بالإنسان الآلي (الإنسان المهجن من الآلة والبشر).

3 - مفهوم العقل قديما وحديثا بين النظر التجريبي (الرؤية الفيزيقية)، والنظر التجريدي الذي ينفي وجوده في حيز معين من الكائن البشري.

4 - ارتباط التخيل الذهني، والنظر الحسي بالإجراءات الميكانيكية والكهربائية، مما يعني وجود فرق بين النظر إلى الواقع المادي وتخيله في شكل صور[60]، وفي سياق وصف آلية عمل الدماغ في إنتاج اللغة، وفهمها يتساءل الباحث عن جواز إطلاق لفظة «قلب» عند العرب على الجهة اليمنى من الدماغ المسؤولة عن الحالات العاطفية والانفعالات المصاحبة للحركة غير منطقية، بتميزها عن الجهة اليسرى المسؤولة عن نقد المواقف وتحليلها[61]، ولأمر ما ارتبطت في المخيال الفضائل والقيم باليمين، في حين كان اليسار دائما رمزا للتطرف والنقد والتمرد والضلال!

إن ارتباط اللغة من حيث كونها نظاما علاميا دالا له بعد الثبات والتوجيه بالدين يثير كثيرا من المساءلات عند الدارس لعل أهمها:

أ - تحديد العلم الحديث (علم أعصاب الدين) للمنطقة المسؤولة عن الاستجابة للمفاهيم والألفاظ الدينية في الفص الجداري.

ب - اللغة أداة طيعة لإضفاء اليقين الديني على الخطاب الديني، مما يعني صعوبة الفصل بين الكلمات المتصلة بالدين، ومضامينها التي يتناقل بوساطتها الناس النصوص الدينية، ويفسرونها بناء على واقعهم القائم[62]، واتساقا مع علاقة الدين بالثقافة السائدة يحلحل الباحث صور الترابط بين الثقافة واللغة من حيث هي وسيلة بناء لها، وأداة لفهمها، وتحليل أنساقها، وإعادة صياغتها وفق منطق لغوي خاص بجماعة معينة، وفي هذا المنحى يقرر الباحث جملة من القضايا نوردها مجملة:

1 - اللغة مسؤولة عن رؤية مستخدميها للعالم انطلاقا من فرضية وورف وسابير[63].

2 - تعدد اللغات يعني تعدد الرؤى للعالم الواحد.

3 - الانحياز الفكري في علاقته بوحيد اللغة.

4 - ارتباط الثقافة بأنثروبولوجية الحركة لدى الإنسان، والمصاحبة لفعله اللغوي.

5 - ارتباط استقلالية النسق الثقافي بالعزلة الاجتماعية، فالأمم الأكثر احتكاكا بغيرها هي الأقل قدرة على ضبط ثقافتها، وتحقيق استقلاليتها[64].

كما تتجلى سلطة اللغة في مستوى المجاز والدلالة الحافة أين تنقل الإشهاريات والألغاز والأحاجي والنكت المعاني عبر طبقات لغوية لا ينفذ لها إلا من أوتي فهما عميقا لتعدد المعنى اللغوي ومقتضيات التداول الخطابي[65]، ذلك أن لهذه الأنساق وظيفتين: إحداهما جمالية، قائمة على التخييل. وثانيتهما حجاجية تضمر دعوى ينافح عنها عقليا ضرب من التخيل والتمثيل[66]، ويلفت الباحث أنظارنا إلى علاقة مميزة تربط القائد في الفعل القيادي باللغة فهي علاقة تأثر وتأثير من نوع خاص، فليست سلطة الكلام إلا تلك السلطة التي أوكلت لمن هم بالكلام، بلسان جهة ما، باعتباره شاهدا مفوضا على شهادة معينة[67]، ولعل لغة القائد دون غيرها لا بد لها من أن تتسم بجملة من الصفات مثل:

1 - البداية القوية. 2 - الوضوح. 3 - التجريب. 4 - اللغة العادية. 5 - النهاية القوية[68].

وفي هذا السياق تقوم لغة القائد بأداء مهمة تأطيرية لجماهير المقودين، وذلك من خلال فعل التأطير[69]. وعلى صعيد تمعين العلاقة القائمة بين اللغة باعتبارها حدثا زمنيا، والزمن ذاته باعتباره إطارا فلكيا لهذا الحدث تتنزل جملة من الفرضيات والمسلمات المشكلة لهذا التفاعل الزمن لغوي، فاللغة تحاول تمثيل الزمن بطريقتها الخاصة من دون أن تتطابق مع حدوده الفعلية في علم الفلك، كما أنها من حيث هي بنية اجتماعية وظيفية فهي قابلة للتغير والتطور عبر السيرورة الزمنية، وما يلفت الانتباه في هذه المسألة هو اختلاف الدارسين في ماهية التغير اللغوي، فهل حدوثه واقع داخل حدود الزمن أم خارجه؟ أغلب الظن أن التغير اللغوي حادث في بنية اللغة ضمن حركتها الزمنية، مرتبط بعوامل تاريخية محددة، ذلك أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتغير بتغير عوامل العمران والمدنية، غير أن ثمة نزعة تحاول تجاهل هذه الحقيقة زاعمة اتسام اللغة بقدر كبير من المثالية والقداسة والارتفاع عن مساوئ الفساد واللحن والانحراف، وما هذا الموقف - من وجهة نظره - إلا نتيجة حتمية لسلبية النحاة الذين فصلوا اللغة عن واقعها التاريخي فصاغوها قواعد ثابتة[70].

كما يناقش الباحث في إطار بلورة فكرة علاقة اللغة برؤية العالم موضوع اللون بين الوصف اللغوي المجرد له، والحقيقة العينية المحسوسة بالعين المجردة، مشيرا إلى اختلاف الأفراد والجماعات في تحديد الألوان وتسميتها، مما يعني كونها أنساقا اجتماعيا ثقافية من نوع خاص تنتج لغويا ثم يعاد إنتاجها وتوزيعها على المعاني باللغة نفسها، في سياق حركتها الاجتماعية والثقافية، وخير مثال لنا في علاقة اللون بالمعنى المعين ألوان الأعلام فهي لا ترسم واقعا فيزيائيا، بل هي أدوات تصنيفية للمعنى بشكل أساس في ثقافة معينة[71].

تتأثر اللغة في سياقها التعبيري عن المشاعر الذاتية بجملة من المؤثرات، لعل أهمها:

1 - عامل الجنس. 2 - عامل العرف. 3 - عامل الطائفة. 4 - عامل المبادرة. 5 - عامل ردود الفعل[72].

وفي هذا السياق يصمم الباحث تصورا سيميائيا لحركات الجسم، ودلالاتها الثقافية والنفسية والاجتماعية، لا يخلو من طرافة وموضوعية، ثم طفق يرصد حركة تغير اللغة في تواصليتها من خلال تمييزه بين التواصل المباشر وغير المباشر، وتمييزه بين لغة الشاعر والعمل ومراكز الترويح والأقارب والأصدقاء والرسالة المكتوبة ولغة الهاتف[73]. كما يستكشف الباحث في محطة لاحقة أهم وسائل اللغة التي تسنح لمستخدميها بتحقيق الأغراض الأساسية للتواصل مع أبناء الجنس الواحد، وحتى مع الآلة من خلال ابتكار نماذج لغوية عليا وراقية[74]، هذا ويتحقق التواصل والتعبير باللغة من خلال إنتاج الخطابات المختلفة التي تتحدد دلالاتها وأغراضها تبعا للسياق المقامي الذي تولد فيه نظرا لآليات يتوافر عليها مستخدمو اللغة، تسمح لهم بإنجازه وتطويره في اتجاهات متنوعة، بفضل الوسائل اللغوية التي يمر اكتسابها بمراحل هي:

1 - مرحلة النسخ. 2 - مرحلة الامتصاص اللغوي. 3 - مرحلة المعرفة الحسية. 4 - مرحلة الشباب عن الطوق. 6 - مرحلة الأسر والانقياد[75].

كما يوجه الباحث الأنظار إلى تفاوت واضح في درجات الخطاب من حيث الشكل والغرض والجهة، ويتحكم في هذا التفاوت العلاقة القائمة بين منتج الخطاب ومتلقيه بدرجة أساسية[76]، وانطلاقا من الموضوعات الأساسية التي يقوم عليها الخطاب يمكن التمييز بين أنواعه التالية:

1 - الخطاب المتوازن. 2 - الخطاب الودي. 3 - الخطاب الاحترازي. 4 - الخطاب الاستبعادي العنصري. 5 - الخطاب الهجومي الجارح. 6 - الخطاب الدّفاعي التّصالحي. 7 - خطاب التّوارد، الخطاب المتقلب[77].

إن هذه الأنواع، على الرغم من اختلاف أشكالها وأغراضها الفرعية تتفق في هدف استراتيجي عام يتمثل في إطلاق العنان للنصوص والخطابات كي تتحكم في الوجود الإنساني؛ فتبسط سلطتها وقداستها عليه، مستعينة بتأويل مستخدميها أنفسهم، يقول العجمي: «... كما يكون لناقلي النصوص دور في إضفاء صبغة القوة، وأحيانا القداسة على بعض النصوص، مما يكسبها سلطة تفوق سلطتها الاعتيادية والمكتسبة من اللغة وفق ما أضيف إليها من قوة أو قداسة ووفق عدد الناقلين وزمن التناقل... »[78]، وفي هذا السياق تعرض السلطة الدينية بوصفها سلطة ثقافية رمزية قوتها المعرفية بوساطة شارحيها، المتسلحين بافتراضات مسبقة عن المتلقين، ومواقفهم[79]. وفي سياق توضيح أهمية العبارات المالئة[80] في التواصل الاجتماعي يبين الباحث أهداف استخدامها، تحقيقا للتأدب السلبي أو الايجابي في المحادثات العامة والخاصة، أو إقامة الحواجز بين المتكلم والمتلقي، أو تقليل التزام المتكلم بمضمون الكلام، أو تأكيد الثقة بالمتكلم،

ومخاطبة مشاعر المتلقي، أو الانحياز إلى جهة ما أو فكرة معينة، أو وضع الحقائق في إطار نسبي، أو محاولة لابتزاز المخاطب[81].

إن مشكلة الخطاب وتعدد أنساقه الدالة، وكيفية التعامل معه، توليدا وفهما وتأويلا، كانت موجها لمناقشة النسق الثقافي الموروث في الفكر العربي الإسلامي الرسمي والعامي، في الرؤية القديمة والنظر المنهجي الحديث، الذي يسترفد بمداخل معرفية ومنهجية متنوعة منها؛ المدخل اللساني[82] والمدخل الأنثروبولوجي والمدخل الاجتماعي والمدخل المنطقي الرياضي، ضمن دراسة ثانية قدمها الباحث بعنوان: «تحت القشرة، دراسات في الثقافة والموروث» عرض فيها إلى الجدلية القائمة بين الفكر المجتمعي وسلمية القيم والطقوس المتداولة في صورة صراع مرير بين الطرفين، ينتهي عادة بتنميط أنساق ثقافية معينة تهيمن على السلوك الفردي وتوجيهه في إطار مصلحة جماعية معينة، تضطلع اللغة بدور أساس في تحقيق التنميط والتعصب للهوية[83].

كما تلفت الدراسة المذكورة الأنظار إلى الدور الفعال والمركزي الذي تضطلع به الأمثال الشعبية بوصفها وعاء للذاكرة الشعبية الجماعية في صناعة القيم، والترويج لها، والدفاع عنها بخاصة في ضل المجتمعات المنغلقة على ذاتها، وربما تفيد هذه المجتمعات في مرحلة من مراحل دفاعها عن الوجود الذاتي من التكنولوجيا للترويج لقيمها الموروثة عبر الأمثال اللغوية، فتضحي اللغة في هذا الإطار من أخطر أدوات التأثير النفسي والاجتماعي والأخلاقي، وربما يحسن أن يتوقف عند ما ضربه البحث من أمثلة تتصل بموقف الأمثال من مفهوم المسؤولية. باعتبارها قيمة وسلوكا فرديا واجتماعيا في الآن نفسه في بيئة معينة ربما يسلك أفرادها دربا يتحللون فيه من الالتزامات، أو لنقل التهرب من المسؤولية من خلال تدبر أمثلة كثيرة، لعل أبرزها: 1 - الأولين ما خلوا للتالين شي، قليل هناك وكثير عناك، اعطني حظ وارمني في البحر، راعي النصف سالم، في الذلة طولة عمر وغيرها[84].

ومن الموضوعات شديدة الصلة بفلسفة اللغة التسمية من حيث طريقة إنجازها باللغة، وعلاقتها بالمرجعية الفكرية والاجتماعية والمادية، وما يرتبط بها من مشكلات تتصل بالدلالة والقصد، خاصة أن الكلام الاتصالي يقوم في بعده الإفرادي والرمزي على الأسماء التي تشير إلى المسميات المختلفة، فضلا عن ارتباط البرمجة الذهنية المتحكمة في السلوك الفردي والاجتماعي[85]، وتحديد المواقف وتنميط الأفكار بتداول التسمية الموجهة والمقصودة، ولو كان ذلك بتحويل مسار الاسم عن مسماه، مما يثير ضبابية وإيحائية فيه أكثر من وضعه في مساره الطبيعي الذي عني بتسمية الأشياء بأسمائها على حد تعبير جون بول سارتر[86].

كما يعرض الباحث في سياق نظرية تحليل الخطاب إلى: الربط الذرعي في النص العربي من خلال خاصية الربط التي تقوم عليها النصوص اللغوية معتمدة أدوات إحالية وإشارية لم تدرس في الثقافة النحوية العربية بالشكل الكافي - بحسب رأي الباحث - كما أن دراسة طرق الربط

تستلزم استعراض أسس النص التداولية في علاقتها بسمة الترابط النصي[87]، وفي سبيل إماطة اللثام عن هذا التصور يعرض البحث إلى مسيرة التفكير في النص ومتطلباته الترابطية عند القدماء، من خلال التعريج على نظرية النظم، ثم وصف جامع لمحاولات المحدثين الغربيين النصوصية، والمهتمة بموضوعات مثل الإحالة، ومرجعية النص وتكرارية المعاني وغيرها[88]، والوقوف عند محاولات لسانية اتخذت من موضوع الربط الذرعي مشكلة بحثية، هذا ويشير الباحث إلى سبب اختياره لمصطلح الذرعية بدلا عن البراغماتية قصد الابتعاد عن الظلال الاجتماعية لمصطلح البراجماتية[89]، أما لبّ الموضوع فيمكن حصره في عرض ومناقشة الروابط الذرعية في اللغة، وهي نوعان:

1 - روابط إحالية (Anafora). و2 - روابط إشارية (Catafora). أما النوع الأول فيمكن أن يستخدم بشكل متكرر متى أراد المتكلم ذلك، بينما لا يمكن استخدام أكثر من عنصر إشاري واحد قبل أن تذكر الوحدة المشار إليها في الرابط الإشاري[90]، أما عن أهم التركيبات التي تظهر فيها الروابط الإحالية في اللغة العربية فيمكن إجمالها - عند الباحث - في الموضعة (Topicqli-sation)[91]، والتبئير (Focusing)، والتركيب الفصلي (Cleft construction)، والتركيب شبه الفصلي (Pseudo - Cleft Construction)[92]، أما الربط الإشاري فيحدد الباحث تحققه في النص من خلال نماذج معينة مثل: أسلوب ضمير الشأن، وأسلوب إبراز الوصف الذرعي[93]، كما يناقش الباحث الفروق الكائنة بين جملة من المفاهيم الذرعية المرتبطة بمستويات الربط عبر عرضها في ثنائيات، وهي «المسند إليه والمسند» و«الموضوع - الحديث»، و«المبأر - الرتيب»، و«القديم - الجديد» [94]، هذا وعلى الرغم من أهمية الموضوع المطروح بخاصة في الفترة التي نشر فيها هذا البحث فإن صاحبه عرضه بشكل وصفي مختصر، لم يستوف فيه جانبا مهما بالنظر إلى عنوانه، وهو الجانب التطبيقي النصي.

أما أهم الدراسات الأنثروبولجية التي كشفت عن عمق بحثي في إثارة مسألة نصية فيلولوجية فتتمثل في المقارنة المهمة بين نصوص الفيدا البراهمية الهندية القديمة وبين نصوص صحف إبراهيم عليه السلام، وقد ناقش الباحث هذه الفرضية في كتابه صحف إبراهيم بأسلوب لا يخلو من الجدة والطرافة، يقول العجمي: «وإذا صح استخلاص النتيجة التي وصلت إليها هذه الدراسة، ومفادها أن إبراهيم الذي تدعي ثقافات الشرق أبوته، هو نفسه مؤلف كتب الفيدا، أو أن نصوص الفيدا كانت تخرج من فمه، فإن كثيرا من النظريات الدينية والتاريخية والأنثروبولوجية والأركيولوجية ستكون عرضة للاهتزاز[95]، والذي يميز عرض هذه الفرضية اعتدادها بالمعلومات التاريخية من أحداث وشخصيات، والمبادئ العقدية الجوهرية التي تؤسس عليها المعتقدات الفيدية والإبراهيمية، مثل: نظام الكون والخلق، والتشريعات والسلوكات والطقوس، ومصير العالم.

إن من أهم روافد الدراسة الاجتماعية للغة محاولة وصف وتحليل أنواع النصوص والخطابات التي تعكس رؤية المجتمع للكون والحياة، فتحدد هويته الثقافية والأيديولوجية والحضارة ضمن حركة التاريخ، وتلبية لها المطمح قامت في الغرب مع أواخر مرحلة الستينيات وبداية السبعينيات دراسات تركزت حول النص؛ مطالبة بأن ينتقل الهم اللساني من شكلية النسق اللغوي إلى تواصليته، وذلك من خلال التنبيه على ضرورة ربط الخطاب بالمقام، هذا المقام الذي ما فتئ يتحول إلى دولاب يتحكم في مشروعية علوم النص والخطاب، وفي مقدمها تحليل الخطاب ولسانيات النص في الفكرين الفرانكفوني والإنجلوسكسوني، ولعلّ إطلالة سريعة في أهم ما كتب في هذا المجال تكشف لنا عن ذلك الحراك المتسارع الذي شهدته اللسانيات الحديثة بانتقالها من محور الجملة إلى محور النص والنصية؛ تأثرا بمجالات بحثية أخرى مثل النقد الأدبي والسيميائية ونظرية المعلومات وعلم النفس الإدراكي وغيرها[96]، وكان لهذا التطور أثره أيضا في حركة البحث اللساني في الوطن العربي فظهرت دراسات متعددة تحاول التعريف بمناهج تحليل الخطاب، وسبل الإفادة منها في تحليل الخطاب العربي بخاصة الشعري منها، ثم توسع مجال الاهتمام في الآونة الأخيرة ليستوعب أنواعا مختلفة من النصوص الحجاجية والإشهارية والسردية، بخاصة في رسائل جامعية مهمة، في جامعات المغرب العربي وبعض جامعات المشرق، كما تطالعنا أسماء شغلت بهذا الجانب مثل:

سعد مصلوح ومحمد العبد وسعيد حسن بحيري وجميل عبدالمجيد وأحمد عفيفي من مصر، ومحمد الشاوش وتوفيق الزيدي ومحمد الناصر العجيمي، ومحمد القاضي وخالد ميلاد من تونس، وبشير إبرير ومحمد يحياتن وخولة طالب الإبراهيمي وعبدالمالك مرتاض من الجزائر، وسعيد يقطين ومحمد مفتاح، ومحمد الداهي ولحميداني حميد ومحمد خطابي وعبدالرحمن بودرع وغيرهم كثير، ولم تكن الجامعات السعودية بعيدة عن هذا التحول فقد ظهرت بوادر العناية بدراسة الخطاب لسانيا في بعض البحوث المهمة، ربما تكون فاتحة خير لهذا اللون من الدراسات الحداثية إن دعمت ورسخت تقليدا في المؤسسة الجامعية، ولنا أن نستأنس في هذا السياق بدراسة عبدالهادي الشهري حول استراتيجية الخطاب والمداخلة وإشكالاتها النصية[97] لجمعان بن عبدالكريم الغامدي، وقد ناقشت الدراسة مفهوم علم اللغة النصي (اللسانيات النصية)، وأهم مصطلحاته الأساسية في الفكر اللساني الحديث من خلال توجهات مدرسية مختلفة، ثم عرجت في الباب الأول على تحديد مفهوم المداخلة من خلال علاقتها بسائر أنواع النصوص اللغوية الإبداعية، مع تحديد أنواعها واستراتيجيتها في البناء والغرض، أما الباب الثاني فقد خصص لدراسة التماسك النصي من خلال تحليل مظاهر الاتساق والانسجام فيها، كما خصص الباب الثالث لمناقشة إشكالات السياق في المداخلة باعتبارها فعلا كلاميا إقناعيا بالدرجة الأولى[98].

و - اتجاهات البحث في اللسانيات النفسية

أُسست اللسانيات النفسية فرعا معرفيا جديدا في الولايات المتحدة مهتمة بالظواهر العضوية والنفسية المصاحبة لعملية إنتاج الكلام وإدراكه، والعواطف الذاتية المصاحبة له، ومن ثم ركّز على وصف جوانب ثقافية واجتماعية لها التأثير الواضح في نفسية الفرد المشارك في التواصل، وكان المدخل اللساني جد مهما بالنسبة إلى علماء النفس لمعالجة قضايا نفسية صميمة مثل الفروق الفردية، وعملية التعلم ومسائل الإدراك، لذا حدث هذا التلاحم بين المباحث اللغوية والمباحث النفسية بخاصة في الاتجاه السلوكي، هذا وتركز الدراسات النفسية اللسانية على دراسة العلاقات الكائنة بين المنظومة العصبية المقابلة لمستويات البناء اللغوي (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية)، من خلال تحديد الوحدات اللسانية المضطلعة بالوظيفة الإشارية لمعان معينة[99]، كما يمكن البحث في هذا السياق عن أهم العوامل خارج لسانية المشكلة لعوائق نفسية في طريق الفهم المتبادل، وإلى أي مدى يمكن التخلص منها، ربما كان هذا البحث بالذات مدخلا مستساغا بالنسبة إلى الطبيب النفساني في حقل العلاج النفسي، بالإضافة إلى ذلك تشكل عناية اللسانيات النفسية بموضوع الإدراك والذاكرة مجالا خصبا للبحث في عملية التعلم بعامة، وتعلم اللغات بخاصة في إطار بلورة نظرية تحاول الإجابة عن سؤال مهم في هذا الميدان، وهو: كيف يمكن لتعليم اللغات أن يكون أكثر سهولة وسرعة وفاعلية؟

وربما كانت الاختبارات النفسية من الأدوات المهمة في إيجاد إجابة لهذا السؤال الملح[100]. كما شهدت فرنسا اهتماما بالدراسات النفسية اللسانية فصرف الدارسون جهودهم إلى دراسة الجوانب النفسية في لغة الطفل، واختبارات المماثلة والمغايرة بتأثير العامل النفسي والفيسيولوجي للمتكلم من خلال أعمال ج. فندريس (اللسانيات التأثيرية) الذي يرى أنه ما من شخص يعطي المعلومة ذاتها مرتين بطريقة واحدة؛ أبدا لتغير الظرف النفسي للمتكلم في كل لحظة[101].

أما عن حضور الباحث السعودي في ميدان الدراسات اللسانية التطبيقية في منحاها النفسي فيمكن أن ندرج دراسة «عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي» الموسومة بـ «علم اللغة النفسي»[102] التي حاول فيها تقديم رؤية جامعة ومبسطة حول اللسانيات في لقائها مع نتائج البحوث النفسية فيما يعرف اليوم في دائرة اللسانيات الموسعة باللسانيات النفسية، ولقد سعى الباحث في هذا السياق إلى تعريف العلم وتبسيط مداخله للقارئ العربي، فهو علم مازال يبحث لنفسه عن وجود بين سائر العلوم اللسانية التي لم تستقر مكانتها بعد في أغلب البلاد العربية، كما أن حاله اليوم في بلادنا لا تختلف كثيرا عن حال اللسانيات في منتصف القرن العشرين من حيث معرفة الناس بها، وتقديرهم لأهميتهما ومجالاتهما، وقيمتهما الإجرائية في خدمة اللغة، وترقية التفكير والبحث فيها[103]، وفي سياق التعريف بالكتاب وأهدافه العملية يقرر الباحث أن الغاية من تأليفه

لا تنحصر في مناقشة قضية لغوية نفسية بعينها، والتعمق فيها، بل القصد إعداد مدخل جامع شامل لجميع الموضوعات التي تتضمنها مصادر هذا العلم، لمعرفة القارئ العربي على معرفة أصول هذه الموضوعات، ومجالاتها، ومناهج البحث فيها، لعل هذه المعرفة تسنح بقيام علم تعليم اللغة العربية، ذلك العلم المفقود في منظومتنا التعليمية العربية في أغلب البلاد العربية[104]، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اختط البحث لنفسه خطة ترتكز على المفاصل التالية:

تمهيد تعريفي باللسانيات وفروعها النظرية والتطبيقية، وعشرة فصول تبحث في النقاط التالية:

1 - اللسانيات النفسية، من حيث مفهومها ومجالاتها ونشأتها وتطورها عبر عرض أهم نظرياتها، من مرحلة ما قبل البنوية إلى المرحلة العلمية المعرفية.

2 - الجوانب اللسانية في اللسانيات النفسية، أو مستويات التحليل اللساني.

3 - الجوانب العضوية والفيزيائية في التواصل.

4 - الجوانب العصبية اللغوية.

5 - كيفية إصدار الصوت وانتقاله واستقباله.

6 - اكتساب اللغة الأم، وأهم النظريات النفسية في ذلك، مثل: النظرية السلوكية والنظرية لمعرفية الفطرية والنظرية التكاملية[105].

7 - نظريات اكتساب اللغة الثانية، مثل النظرية السلوكية والفطرية والتطبع الثقافي والملاءمة نظرية الخطاب والمراقب والوظائف العصبية والنظرية الوظيفية ونظرية اللغة المرحلية[106].

8 - مشكلات اللغة والفهم والاستعمال الناجمة عن خلل دماغي مثل الحبسة بأنواعها الحركية والحسية والصوتية والدلالية والنحوية بالإضافة إلى المشكلات اللغوية العامة، مثل تأخر لغة الطفل والعيوب النطقية الفسيولوجية[107].

9 - نظريات القراءة في ضوء اللسانيات النفسية[108].

10 - لغة الإشارة عند الصم، طبيعتها وقواعدها واكتسابها[109].

كما ختم البحث بقائمة مصطلحية عربية إنجليزية ثرية بأهم الكلمات المفاتيح، المتداولة في مجال العلوم اللسانية النفسية[110]، ولعل شعور الباحث بعدم وضوح هذا التخصص بالنسبة إلى القارئ العربي، واستقراره في المؤسسة الجامعية كان مانعا له من يختم بحثه بخاتمة بعرض فيها إلى أهم النتائج المفترض الوصول إليها بعد أي عملية وصفية أو تفسيرية في البحث العلمي[111].

هذا ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى تعدد وثراء في الكتابة اللسانيات التطبيقية والتقابلية في المملكة، بخاصة عند تسليط الأضواء على جهود كليات المعلمين ومعاهد اللغة العربية وكليات التربية المنتشرة في ربوع المملكة، فلنا أن نتوقف - مثلا - عند دراسة قماشة المزيد في الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات الصف السادس في الرياض (ماجستير 1405)،

وبحث عيد الجهني حول مشكلات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ووسائل علاجها، وهو بحث دكتوراه نوقش بالجامعة الإسلامية سنة 1410هـ، ودراسة صالح الثبيتي حول أثر استخدام الألعاب التعليمية على تحصيل تلاميذ الصف الرابع في تعليم قواعد اللغة العربية بجامعة أم القرى سنة 1408 هـ، ودراسة علي حسن طرابيشي حول الدراسة التقابلية بين العربية والبنغالية، بمعهد اللغة العربية بجامعة الإمام سنة 1403هـ.

الخاتمة

إن خلاصة هذه الوقفة العابرة مع قضايا اللغة واللسانيات في أهم النماذج العلمية التي عرضتها الدراسات الجامعية السعودية لتتمثل في النتائج التالية:

أولا - إن ما ميز مسار من يمكن نسبتهم إلى اللسانيات تعدد موضوعات بحثهم، وعدم استقرارهم على تخصص واحد يجعلنا نقر مطمئنين انتماءهم إلى حظيرة اللسانيات، وإمكانية عدهم لسانيين بأتم ما تحمله هذه الكلمة من دلالة اصطلاحية.

ثانيا - قادت عملية مسح دلائل الرسائل الجامعية، والتي تسنى لنا الاطلاع عليها، إلى الوقوف عند ظاهرة مزدوجة جديرة بالالتفات، وجهها الأول يتعلق بكون أغلب الرسائل القريبة من الفكر اللساني الغربي ظلت حبيسة الرفوف، فلم يعمل أصحابها على طباعتها ونشرها، وترجمة ما أنجز منها باللغات الأخرى لإتمام فائدتها، وعدها مراجع أساسية للطلاب. أما وجهها الثاني فيتعلق باللغويين السعوديين الذين اهتموا حقيقة في أبحاثهم باللسانيات، أو صدروا عن توجهاتها الرئيسة لا ينتمون في مجال العمل إلى الجامعات العامة مما يعني انحسار أثرهم في التكوين والإعداد لصالح نخبة قليلة العدد من المجتمع لا تضع في سلم أولوياتها خدمة اللغة العربية باعتبارها موضوعا علميا[112].

ثالثا - الميل الظاهر إلى البحوث اللسانية التطبيقية المتصلة بواقع اللغة العربية في الجانب التعليمي، بخاصة في مجموع أبحاث منتسبي معاهد اللغة العربية، وكليات التربية وأقسام المناهج، مما يندمج الآن في أقسام اللسانيات التطبيقية والديداكتيك، أما العزوف عن البحوث اللسانية النظرية فله ما يبرره فكريا واجتماعيا، كما أنه مرتبط بالتوجهات الفكرية والتخصصية لجيل الرواد المؤسسين للدراسات اللغوية في الجامعات السعودية.

رابعا - لقد خلصت الدراسة إلى حكم عام مفاده أن الدراسات اللسانية السعودية لاتزال تعيش لحظة ميلادها العسير في سياق معرفي مضطرب من الناحيتين المنهجية والمعرفية، وحالتها هذه في الحقيقة أصداء لحالة الاضطراب التي يعيشها المنجز اللساني العربي كله في حواره مع الآخر، وتأرجح مواقفه بين التلقي الإيجابي والرفض السلبي.

الهوامش

1 انظر مثلا داود عبده، نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا، الكويت، مؤسسة دار العلوم، سنة 1979. ومصطفى غلفان، «نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي»، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني، العدد 3، الدار البيضاء، سنة 1986، ومازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دمشق: دار طلاس، سنة 1987، ومحمود أحمد نحلة «نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية»، مجلة الدراسات اللغوية، عدد محرم - ربيع سنة 1999، واللافت للنظر في هذه الدراسات أنها اتخذت من مبدأ الجهة ميسما تحدد به الغاية من البحث، فهل هذا التشابه في العناوين من عفو الخاطر، ووقع الحافر على الحافر؟ أو ما يمكن تسميته تناصا؟

2 بخاصة في اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، المغرب: جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل والأطروحات، الرقم 4، سنة 1998. وانظر بحثه: «من أجل لسانيات العربية، إشكالية الموضوع»، مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة عنابة - الجزائر: مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد 1، يونيو سنة 2006، ص 58 وما بعدها.

3 بخاصة «اللسانيات العربية، حصاد الخمسين» ضمن: في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، القاهرة: عالم الكتب، سنة 2004.

4 انظر: حافيظ إسماعيلي علوي، نحن واللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتاب المستقبل العربي، العدد 55، السنة 2007. و«اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالية التلقي، اللسانيات التمهيدية نموذجا في الثقافة العربية»، مجلة فكر ونقد، العدد 58، موقع المجلة على النت، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، بيروت، عالم الكتاب الجديد، سنة 2009، و«إبيستمولوجيا اللسانيات في الثقافة العربية»، مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 02 السنة2007، وحافيظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاخ، «بعض الاستراتيجيات التأويلية لفهم النظريات اللسانية الحديثة»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت: العدد 101، السنة 2008.

5 في كتابه الذي اعتمد اعتمادا أساسيا في هذه الدراسة، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، عمان: دار الإسراء، سنة 2002.

6 تم استبعاد المستوى التركيبي لأن البحوث فيه سارت في جلها، بحسب الاستقراء مسارا تقليديا بحتا، يحلل ظاهرة اللغة بمعطيات النحو القديم، ولا يكاد يخرج عنها إلا لماما، في بعض التصورات النظرية العامة، التي نتلمس بعضها عند حمزة المزيني في: موت النحو، وفالح العجمي في: أسس اللغة العربية، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية خصص الباحث دراسة مستقلة تعرف بالرؤية اللسانية وعلاقتها بدراسة التركيب والنحو عند حمزة المزيني، وهي منشورة في العدد الأخير من مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر: العدد 11، مارس، سنة 2011، ص 15.

7 عن مفهوم التقطيع المزدوج Double Articulation بخاصة، وآراء مارتنيه بعامة، ينظر: Andre Martinet ,Elements de linguistique generale ,Paris ,Colin.1960,P 11 - 12 - 53، وأيضا: سليمان بن علي، المدرسة الفرنسية الوظيفية والتراث النحوي العربي، مقاربة لسانية في ضوء كتاب «مبادئ اللسانيات العامة لمارتنيه، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 14، شتاء 2005، الجزائر، ص 11 وما بعدها.

8 روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، الكويت: العدد 227، سلسلة عالم المعرفة، سنة 1997، ص 231.

9 كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة: ط 6، دار المعارف، سنة 1981، ص 12.

10 زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1990، ص 92 و93، وانظر توسعا: أندريه مارتينيه، مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة سعدي الزبير، الجزائر: دار الآفاق، سنة 1999، ص 78 - 80.

11 عن علاقة التنغيم بالخطاب ينظر: عبدالهادي بن ظافر الشهري «نحو توسيع مفهوم الخطاب، مقاربة لسانية تواصلية»، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 77، شتاء/ ربيع سنة 2010، ص 94.

12 منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، الرياض: مكتبة التوبة، سنة 2001.

13 يستعمل الباحث مصطلح «الرقيقتان الصوتيتان» بدل المصطلح الشائع «الوتران الصوتيان والأصوات الشفتانية والأصوات الغارلثوية والأصوات التقاربية والأصوات الجامدة وغيرها... »، مما يمكن أن يكون نموذجا للتعددية المصطلحية في علم الأصوات العربي، ومظهرا سلبيا لاضطراب المصطلح العربي من ناحية ثانية.

14 منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، ص 80.

15 منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، ص 81.

16 المرجع نفسه، ص 98.

17 الصوت الثنائي في العربية يمثل بصوتين ممتزجين وفق الرسم الطيفي وهما: /َ /، /َ / مثل كلمتي قَول وبيت، أما أشباه الصوائت فهي الياء والواو الشبيهان بـ الصائت العالي الأمامي والعالي الخلفي؛ بينما يكمن الفرق بينهما في أن النطاق الرنيني الأول أكثر انخفاضا فيهما منه في حالة الصوائت الأساسية، كما أن المناطق الرنينية في حالة اللام الجانبية تكون أقل عن حالة الصوائت، انظر المرجع نفسه، ص 126 و130.

18 المرجع نفسه، ص 147.

19 المرجع نفسه، ص 155.

20 المرجع نفسه، ص 158.

21 المرجع نفسه، ص 161.

22 المرجع نفسه، ص 147.

23 منصور الغامدي، الصوتيات العربية، ص 162.

24 المرجع نفسه، ص 166 و167. تحتاج هذه التشابهات الصوتية إلى دراسة تبين الأثر الصوتي لما نسميه بـ المغالطة الإشهارية.

25 المرجع نفسه، ص 172.

26 اعتمد هذا البحث مجموعة من مصادر الصوتيات باللغة الإنجليزية، وبعض الدراسات الصوتية العربية المؤسسة له في الفكر اللغوي العربي القديم والحديث، مع عناية بالغة بالمصدر الأجنبي، سواء ما كتبه أوربيون في هذا المجال، أو ما أعده بعض العرب من دراسات جامعية، مثل دراسة الباحث نفسه.

27 محمد حسن باكلا أستاذ اللسانيات والصوتيات المشارك بكلية الآداب، ومعهد اللغة العربية بجامعة الرياض سابقا، وأستاذ زائر بجامعة تايوان الوطنية، صدرت دراسته الأكاديمية عن ابن جني في لندن - تايبيه سنة 1982.

28 لم نتمكن من الحصول على هذه البحوث، وتقديم عروض وافية لمحتوياتها، وقد نتمكن من بسط ذلك في دراسات لاحقة إن شاء الله.

29 انظر: عبدالمقصود محمد عبدالمقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الرياض: دار الفيصل الثقافية، سنة 2006، ص 93 وما بعدها، ودزيرة سقال، الصرف وعلم الأصوات، بيروت: دار الثقافة العربية، سنة 1991، ص 13.

30 محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 220، وانظر دراسة كمال بشر أيضا «مفهوم علم الصرف»، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 25، رمضان 1389 - نوفمبر1969، وانظر أيضا: سمير شريف ستيتية، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، إربد: عالم الكتب الحديث، سنة 2005، ص 109 وما بعدها.

31 سمير شريف ستيتية، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ص 299 و300.

32 إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، بيروت: دار الغرب الإسلامي، سنة 1997، ص 38 - 40 - 44 - 51.

33 نوقشت هذه الرسالة سنة 1418، وقد أشرف عليها د. محمد لطفي الزليطني.

34 هذه البحوث المعجمية المخطوطة مشاريع منجزة بدعم من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

35 نشرت هذه الرسالة في مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض: مطبعة سفير، سنة 2008، وقد أشرف عليها أ. د. محيي الدين محسب من قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، والذي يميز هذا البحث اعتماده على مراجع أساسية في المعجمية وصناعة المعجمات، بالإضافة إلى كتب اللسانيات العربية والإنجليزية.

36 بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم، العدد 40، سنة 2006.

37 بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، العدد 22، سنة 1422ه.

38 بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة المنصورة، العدد 32، سنة 2003.

39 سمير شريف ستيتية، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ص 255 و256. وانظر أيضا: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر: منشورات الاختلاف، سنة 2008، ص 54 - 56، ومحمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، بيروت: دار الكتاب الجديد، سنة 2004، ص 11 و12.

40 انظر دراسات عربية متعددة حول المعنى، وطرائق دراساته قديما وحديثا في: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، سنة 1992، ص 10 وما بعدها، محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دت، ص 261 و263، وفوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، عمان: منشورات وزارة الثقافة، سنة 1999، ص 439، وغيرها من البحوث والرسائل الجامعية.

41 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط 2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1979، ص 8 و9.

42 فوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص 439.

43 آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، بيروت: دار الطليعة، سنة 2003، ص 160.

44 فايز الداية، علم الدلالة عند العرب بين النظرية والتطبيق، ص 6.

45 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 20.

46 نعمان بوقرة، تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي، قراءة في أعراف الفهم الظاهري للخطاب القرآني، عمان: أمانة عمان الكبرى، مطبعة روزانا، سنة 2007، ص 68 وما بعدها. وانظر أيضا: محمد عابد الجابري، «اللفظ والمعنى في البيان العربي»، مجلة فصول، المجلد 5، العدد 1، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، سنة 1985، ص 31 وما بعدها.

47 صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص 405 وما بعدها.

48 رسالة دكتوراه نوقشت بإشراف الدكتور تمام حسان.

49 قد يحتاج البحث إلى إجراء عملية مسح شاملة لكل المكتوب، المخطوط والمطبوع للوصول إلى أحكام قطعية، ويقينية، غير أن هذا المسعى غير متاح تحقيقه في الوقت الراهن، هذا وإن الاستقراء بطبيعته لا يكون شاملا، ومستغرقا عند المناطقة، مع سلامة الاحتجاج بحكمه في العموم. كما يعتمد الباحث حدسه في الحكم من واقع قربه واحتكاكه اليومي تدريسا وإشرافا بالواقع التعليمي الجامعي المعين.

50 روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 287، وجيفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، دت ص 79 وما بعدها.

51 زكي محمد إسماعيل، الأنثروبولوجيا والأدب العربي، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، سنة 1995، ص 7، وقباري محمد إسماعيل، الأنثروبولوجيا العامة، صور من قضايا علم الإنسان، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة 1971، ص 25 وما بعدها.

52 فالح بن شبيب العجمي، اللغة والسحر، الرياض: بدون ناشر، سنة 2003، ص 2، الحقيقة إن الأسئلة المطروحة تنتمي إلى أكثر من إطار معرفي، ومحاولة الإجابة عنها تتنزل في هذه الرؤية المعرفية الواسعة التي تنفتح عليها اللسانيات الموسعة (Macrolinguistique).

53 المرجع نفسه، ص 3 و4، وانظر في هذا السياق: وسمية المنصور، «توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل»، مجلة عالم الفكر، المجلد 38، العدد 3، مارس، سنة 2000، ص 168.

54 يظهر هذا البعد في العلامات اللسانية الدالة على الابتسامة والسرور والأغاني، وعبارات الترحيب وأهازيج العمل وكلمات التنويم المغناطيسي وما إلى ذلك، انظر اللغة والسحر، ص 6.

55 يضرب الباحث أمثلة متعددة مثل: عبارات مصلحة الوطن، الدين الصحيح، الفهم الأمثل، وما إلى ذلك من القوالب المتحيزة وغير الدقيقة التي تنقل اللغة من بعدها البياني والوصفي إلى بعد أسطوري مجاف للتاريخ والواقع، مثل: كلمات الإرهاب - نيران صديقة - التكفير - السلام العالمي - الرفاهية الاقتصادية... إلخ، أما عن البعد المغالطي للغة فيمكن التوسع في وظيفة التطويع الحجاجي الممارس باللغة بخاصة في الخطاب السياسي: Philipe Breton ،La parole manipulee edition La decouverte، Syros ،Paris ،2000،p23 – 24.

56 محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، سنة 1989، ص 214.

57 المرجع نفسه، ص 16 و17.

58 المرجع نفسه، ص 28 و29.

59 عن أهمية السلطة الرمزية للغة في فرض الهيمنة الفكرية، وحمل المتلقين على الإذعان يراجع: جابر عصفور، بلاغة المقموعين، ضمن المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، ط 2، الدار البيضاء: دار قرطبة، سنة 1993، ص 8 وما بعدها.

60 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 32 - 37 - 42، وفي هذا السياق يمكن التذكير بأن منطقة الفهم (فيرنك) تنشط في الأشهر الـ 18 الأولى من ولادة الطفل قبل تنشيط منطقة بروكا المسؤولة عن إنتاج الكلام، وهي منطقة موجودة في الجهة اليسرى من الدماغ، انظر تفصيل ذلك في: لورين أوبلر وكريس جيرلو، اللغة والدماغ، ترجمة: محمد زياد كبة، الرياض: مطبوعات النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، سنة 2008، ص 29 - 33.

61 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 45.

62 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 52.

63 لم تعد هذه الفكرة تستهوي الدارسين كثيرا اليوم، خاصة في مجال اللسانيات، فقد بات مبدأ الحتمية التي تقوم عليه مظهرا من مظاهر التحيز الاجتماعي واللغوي غير المبرر.

64 الواقع يشهد على عكس هذا الفرض؛ فالمجتمعات المتحاورة مع الآخر، والمحتكة برصيد تجاربي متنوع هي الأقدر على حماية موروثها، وتحديد معالم كيانها الثقافي والأخلاقي، كما لنا دليل في واقع الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، فالمسألة مرتبطة بالاستعداد للتحكم في فعل الاحتكاك من عدمه.

65 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 61.

66 محمد علي القارصي «من مظاهر الاحتجاج في كليلة ودمنة»، حوليات كلية الآداب، تونس، العدد 41، سنة 1997، ص 154 بتصرف.

67 R. Barthes «،Rhetorique de l image» ، communication. 4، 1994 ،p43 .

68 المرجع نفسه، ص 73.

69 التأطير هو صنع الأطر المناسبة لقوالب الفهم؛ لكي يتم تخزين القوالب التي تناسب توجيه القائد في أذهان الفئة المقودة فكريا وسلوكيا، انظر: اللغة والسحر، ص 75.

70 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 81. هناك بعض العبارات تحمل موقفا سلبيا من عمل النحاة، وهذا من التحيز الذي يأباه الفكر العلمي في اللسانيات المعاصرة، انظر على سبيل المثال المرجع نفسه، ص 80.

71 للون دلالات مختلفة في منظومة العلامات اللغوية الخالصة عن تلك التي يكتسبها، ويحيل عليها في النصوص الإبداعية، فالسواد علامة على الظلمة والحقد والستر والسيطرة، كما يمكن أن نتصور عوالم نصية غريبة مثل: ليل رمادي وصباح بنفسجي وأبيض أسود، وما إلى ذلك من الدلالات اللونية المجاوزة لحدود الواقع الممكن والوضعية العلامية.

72 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 88 - 92.

73 المرجع نفسه، ص 95 - 97 - 104.

74 المرجع نفسه، ص 106.

75 المرجع نفسه، ص 116 - 118.

76 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 121، كما يتطرق الباحث في السياق نفسه إلى موضوعات متصلة بموضوع الخطاب من حيث البنية والتداول مثل: أنماط افتتاحه، واختلاف مستويات تواصليته واختلاف الأنماط اللغوية في خطاب الطبقات الاجتماعية في لغات العالم مثل: العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية وغيرها، انظر المرجع نفسه، ص 136.

77 انظر تعريفات هذه الأنواع في: اللغة والسحر، ص 137 - 151.

78 فالح العجمي، اللغة والسحر، ص 154، مثل الإشاعات والأمثال والأقوال المأثورة والنصوص الدينية، كما يطرح الباحث مساءلات تتعلق بمدى تحقق الحقيقة في الخطابات، وكيفية توجهها إلى مضامين وأغراض معينة بحسب نزعات أصحابها، انظر توضيح ذلك في ص 166 - 171.

79 عبدالله الحراصي «مظاهر التفاعل بين اللغة والسياق الاجتماعي»، مجلة نزوى، سلطنة عمان، العدد 24، أكتوبر سنة 2000، ص 71 بتصرف.

80 يشير الباحث إلى أن شيوع العبارات المالئة والجاهزة في الخطاب العربي اليومي هو نتاج طبيعي للانتكاسة الحضارية التي شهدتها الأمة ابتداء من عصر الانحطاط إلى يومنا هذا، في جميع مناحي الحياة، وربما تكون مظهرا من مظاهر الوشي اللفظي الذي هيمن على بنية الكلام العربي بعد انحدار الثقافة العربية في الطور العباسي، انظر اللغة والسحر، ص 198.

81 انظر تفصيل هذه الأهداف في: اللغة والسحر، ص 178 - 197.

82 في هذه العلاقة ينظر: مصطفى غلفان، «اللسانيات وتحليل الخطاب، أية علاقة؟ تساؤلات منهجية»، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 77، شتاء/ ربيع سنة 2010، ص 53.

83 فالح العجمي، تحت القشرة، دراسات في الثقافة والموروث، بيروت: الانتشار العربي، سنة 2008، ص 71 و132.

84 فالح العجمي، تحت القشرة، دراسات في الثقافة والموروث، ص 149 و156 والظاهر أن هذه الأمثال لها ما يشبهها في مجتمعات عربية كثيرة وإن اختلفت أساليب صياغتها، مما يشي بخطورة القيمة والسلوك الناتج عنها في الحياة العربية العامة، نرى له آثاره في تحديد الموقف من قضايا المصير والوجود العربي.

85 المرجع نفسه، ص 2002.

86 المرجع نفسه، ص 207، وانظر رونالد أرونسون، كامي وسارتر، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 2006، العدد 334، ص 197.

87 فالح بن شبيب العجمي «الربط الذرعي في النص العربي»، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد 12، العدد 1، سنة 1994، ص 253.

88 فالح العجمي، الربط الذرعي في النص العربي، ص 254، والجدير بالذكر أن دراسة الترابط النصي في إطار لسانيات النص اتجاه حديث في اللسانيات الغربية يعود تاريخ ظهورها إلى محاولات باختين وتودوروف ودي بوجراند، ولمزيد من التفاصيل التاريخية يمكن العودة إلى:
Patrick Charaudeau - Dominique Maingueneau et autres, Dictionnaire d analyse du discourse, edition du Seuil ,p345 - 346

89 المرجع نفسه، ص 255.

90 الربط الذرعي، ص 265، كما ضم هذه الروابط الإحالية على نمطين شكليين مختلفين هما الترابط الأفقي التسلسلي والترابط المركزي، انظر تعريفها في البحث المذكور، ص 256 و257.

91 يعتمد الباحث في تحديد مصطلح الموضعة وتمييزه مدخلا وظيفيا معروفا عند سيمون ديك وأحمد المتوكل في دراساته للمحور والبؤرة والذيل وغيرها، انظر أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1985، ص 137 و138 وما بعدهما.

92 فالح العجمي، الربط الذرعي، ص 263 و264.

93 المرجع نفسه، ص 266.

94 المرجع نفسه، ص 268.

95 فالح العجمي، صحف إبراهيم، ، جذور البراهمية من خلال نصوص الفيدا ومقارنتها بالتطبيقات والروايات التاريخية، بيروت: الدار العربية للموسوعات، سنة 1427، ص217.

96 نشر «ز. هاريس» Z. Harris بحثا اكتسب أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة فيما بعد يحمل عنوان «تحليل الخطاب»، والذي نشر لأول مرة سنة 1952 في مجلة (Languages) في عددها الثالث عشر من سنة 1969.

لقد كان هاريس أول لساني يعدّ الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني، كما قدم منهجا لتحليل الخطاب المترابط، واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي، مستخدما إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص، ولكي يتحقق هذا الهدف فإنه لا بدّ من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية، وهما في نظره قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة إذ لا بد من تجاوز ذلك إلى ما هو خارج الجملة. والفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي مما يحول دون الفهم الصحيح، ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب ركيزتين هما:

1 - العلاقة التوزيعية بين الجمل.

2 - الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي. ويؤكد ز. هاريس Z. Harris أنه بالإمكان تصور تحليل الخطاب انطلاقا من ضربين من المسائل هما في الحقيقة أمران مترابطان: أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللّسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في الوقت نفسه، وأمّا الثاني فيتعلق بالعلاقة بين الثقافة واللغة، ثم شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينات في أوربا ومناطق أخرى من العالم توجها قويا نحو الاعتراف بنحو النص بديلا موثوقا لنحو الجملة، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعد الأثر في دراسة اللغة وظائفها النفسانية والاجتماعية والفنية والإعلامية. وبالإضافة إلى ما قدّمه هاريس هناك جهود غربية متنوعة في دراسة التماسك النصي أسست على النظر إلى النص بأنه يحمل وسائل اتساقه فهو وحدة دلالية وليست الجمل إلاّ وسيلة يتحقق بها، وأهم هذه الدراسات ما قام به «هاليداي ورقية حسن» Michel. A.K. Halliday et Ruqaiya Hasan سنة 1976 Cohésion in English (الاتساق في اللغة الانجليزية)، وما قدمه «تون فان ديك» T. Van. Dijk في كتابين له أولهما some expects of texte grammar سنة 1972 (بعض وجوه نحو النص)، والثاني Text and con- text سنة 1977 (النص والسياق)، وقد حاول في هذين المؤلّفين أن يبين أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، مثل ظواهر الإحالة القبلية والبعدية (anaphore et cataphore)، مما أدى إلى الاهتمام بالنص كموضوع بحث في حد ذاته، مقررا أن قواعد بناء النص اختيارية وديناميةنابعة من الخصوصية النصية ذاتها، هذا وتتنزل دراساته في سياق دراسة بناء التركيبي والوظائف الدلالية للنصوص من خلال المقابلة بين البنيتين الكبرى والصغرى في المستوى الدلالي والتركيب الأعلى والأدنى في مستوى التشكيل الخارجي، وتقوم استراتيجية فهم النصوص عنده على الربط بين المعطيات التالية التي تعبر عن تعالق مستويات التكوين النصي، وهي: المعطى النحوي (الصوتي/ الصرفي/ التركيبي)، والمعطى الدلالي، والمعطى السياقي التواصلي، والمعطى التداولي. انظر نعمان عبدالحميد بوقرة «أضواء على نظرية تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث»، مجلة كلية الآداب، جامعة البحرين، تحت الطبع. وانظر حول تاريخية تحليل الخطاب:

Patrick Charaudeau، Dominique Maingueneau et autres – Dictionnaire d analyse du discourse، edition du Seuil .p41 – 42 – 44

97 سجلت في قسم اللغة العربية - مثلا - رسائل ماجستير ودكتوراه في الفترة الأخيرة في هذا الإطار منها: بنية الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية لعبدالهادي الشهري، والأحاديث القدسية دراسة نصية تداولية ليوسف الغضية.

98 نوقشت هذه الرسالة بعضوية محمد العمري من المغرب، ومحمد العياشي صاري من الجزائر، ومحيي الدين محسب من مصر، وفالح بن شبيب العجمي من السعودية، وبإشراف محمد لطفي الزليطني من تونس، في الفصل الدراسي الثاني من العام 1426 - 1427هـ .

99 ميلكا إفتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المطبعة الأميرية، دت ط، ص 310، ظهرت ملامح اللسانيات النفسية في أعمال تشارلز أوسجود وتوماس سيبوك في اللسانيات النفسية؛ استقراء للنظرية والمشكلات البحثية بعد لقاء علمي في بلومنتجون.

100 المرجع نفسه، ص 315، ومما تجدر الإشارة إليه أن محاولات تأسيسية قدمها فوندت الذي تأثر بالبنويين وأنصار نظرية الجشطالت التي ترى أن كل شيء يشكل جزءا من شكل كلي أكبر إنما يستمد خاصيته المميزة من بنية الشكل الكلي.

101 المرجع نفسه، ص 132.

102 عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، ط 1، الرياض: عمادة البحث العلمي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1427/ 2006.

103 عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 7.

104 المرجع نفسه، ص8 و10. الجدير بالذكر أن بعض البلاد العربية خطت خطوات مهمة في تدريس مقررات خاصة باللسانيات النفسية وتعليمية اللغة العربية، وهي مازالت تبحث عن التطوير في الصعيدين المعرفي والمنهجي، بل هناك أقسام للدراسات العليا في حقل تعليمية اللغة العربية في بعض الجامعات المغاربية في الجزائر والمغرب على سبيل المثال.

105 عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 246 و250 و259.

106 المرجع نفسه، ص 275 و278 و281 و284 و286 و287 و290 و293 و296.

107 المرجع نفسه، ص 306 وما بعدها.

108 ناقش الباحث في هذا الفصل قضايا كثيرة منها نماذج القراءة الجزئية والكلية والنماذج التفاعلية انظر ص 343 و349 و354.

109 المرجع نفسه، ص 371 و391.

110 عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 399 إلى ص467.

111 اعتمد الباحث جملة من المراجع العربية والأجنبية في بحثه، كما يحيلنا على أهم أبحاثه في مجال اللسانيات النفسية بخاصة وعلم النفس بعامة، مثل: دراسته: النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، الصادر عن مطابع التقنية بالرياض سنة 1419، وبحثه عن علاقة اللغة الأم باكتساب اللغة الثانية، دراسة نظرية تطبيقية، مجلة جامعة الإمام، العدد 28، شوال 1420، وبحثه اللغة المرحلية في دراسات المورفيم، عرض ونقد وتوجيه، مجلة جامعة الإمام، العدد 48، شوال 1425، ومناهج البحث في اللغة المرحلية، الخرطوم، العربية للناطقين بغيرها، مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أفريقيا العالمية، العدد 2، 1425، وبحثه: التحجر في لغة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء 1، م 33، سنة 1426، انظر عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 469 وما بعدها.

112 نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر حسن بن علي الحازمي، ودليم بن مسعود القحطاني وسعد بن هادي القحطاني وعبدالرحمن بن إبراهيم العقيل وعبدالهادي الشهري... إلخ.

المصادر والمراجع

1 - الكتب والدراسات

إبراهيم أنيس

- دلالة الألفاظ (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، سنة 1992).

إبراهيم بن مراد

- مقدمة لنظرية المعجم (بيروت: دار الغرب الإسلامي، سنة 1997).

أحمد المتوكل

- الوظائف التداولية في اللغة العربية (الدار البيضاء: المغرب، دار الثقافة، 1985.

آن ربول وجاك موشلار

- التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني (بيروت: دار الطليعة، سنة 2003).

أندريه مارتني

- مبادئ في اللسانيات العامة (الجزائر: دار الآفاق، سنة 1999).

تمام حسان

- اللغة العربية معناها ومبناها، ط 2 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1979).

جيفري سامسون

- مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة (الرياض: المطابع والنشر العلمي، جامعة الملك سعود، الرياض، دت).

حافيظ إسماعيلي علوي

- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته (بيروت: عالم الكتاب الجديد، سنة 2009).

داود عبده

- نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا (الكويت: مؤسسة دار العلوم، سنة 1979).

دزيرة سقال

- الصرف وعلم الأصوات (بيروت: دار الثقافة العربية سنة 1991).

روبنز

- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض (الكويت: العدد 227، سلسلة عالم المعرفة، سنة 1997).

روي. سي. هجمان

- اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة: داود حلمي السيد (الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، سنة 1990).

رونالد أرونسون

- كامي وسارتر، ترجمة: شوقي جلال (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، سنة 2006، العدد 334.

زبير دراقي

- محاضرات في اللسانيات العامة (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، سنة سنة 1090).

زكي محمد إسماعيل

- الأنثروبولوجيا والأدب العربي (الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، سنة 1995).

سعد مصلوح

- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات (القاهرة: عالم الكتب، سنة 2004).

سمير شريف ستيتية

- اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج (إربد: عالم الكتب الحديث، سنة 2005).

صلاح الدين زرال

- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر: منشورات الاختلاف، سنة 2008).

عبدالرحمن الحاج صالح

- بحوث ودراسات في علوم اللسان (الجزائر: موفم للنشر، سنة2007).
- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة (الجزائر: منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، سنة 2007).

عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

- علم اللغة النفسي (الرياض، عمادة البحث العلمي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 2006/1427).

عبدالمقصود محمد عبدالمقصود

- دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية (الرياض: دار الفيصل الثقافية، سنة 2006).

عطا محمد موسى

- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين (عمان: دار الإسراء، سنة 2002).

فالح بن شبيب العجمي

- أسس اللغة العربية الفصحى (الرياض: مطابع التقنية، د. ط، سنة 2001.
- اللغة والسحر (الرياض: 2003 بدون ناشر).
- تحت القشرة، دراسات في الثقافة والموروث (بيروت: الانتشار العربي، سنة 2008).
- صحف إبراهيم، جذور البراهمية من خلال نصوص الفيدا ومقارنتها بالتطبيقات والروايات التاريخية (بيروت: الدار العربية للموسوعات، سنة 1427).

فايز الداية

- علم الدلالة عند العرب بين النظرية والتطبيق (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دت).

فردينان دي سوسير

- دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة (ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1985).

فوزي الشايب

- محاضرات في اللسانيات (عمان: منشورات وزارة الثقافة، سنة 1999).

قباري محمد إسماعيل

- الأنثروبولوجيا العامة، صور من قضايا علم الإنسان (الإسكندرية: منشأة المعارف، سنة 1971).

محمد الحناش

- البنيوية في اللسانيات (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، سنة 1989).

كمال محمد بشر

- علم اللغة العام، الأصوات (القاهرة: ط6، دار المعارف، سنة 1981).

مازن الوعر

- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، (دمشق: دار طلاس، سنة 1987).

محمد محمد يونس

- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب (بيروت: دار الكتاب الجديد، سنة 2004).

محمود السعران

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دت).

مصطفى غلفان

- اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية (المغرب: جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل والأطروحات، رقم 4، سنة 1998).

منصور بن محمد الغامدي

- الصوتيات العربية (الرياض: مكتبة التوبة، سنة 2001).

ميلكا إفتش

- اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المطبعة الأميرية، د ت ط).

لورين أوبلر وكريس جيرلو

- اللغة والدماغ، ترجمة: محمد زياد كبة (الرياض: مطبوعات النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، سنة 2008).

ليونز، جون

- تشومسكي، ترجمة: محمد زياد كبة (الرياض: النادي الأدبي، سنة 1407).

نعمان بوقرة

- تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي (عمان: أمانة عمان الكبرى، مطبعة روزانا، سنة 2007).

2 - المجلات والدوريات

حافيظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاخ

- «بعض الاستراتيجيات التأويلية لفهم النظريات اللسانية الحديثة»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية (الكويت، العدد 101، السنة 2008).

سليمان بن علي

- المدرسة الفرنسية الوظيفية والتراث النحوي العربي، مقاربة لسانية في ضوء كتاب «مبادئ اللسانيات العامة لمارتنيه، مجلة اللغة العربية (المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 14، شتاء 2005، الجزائر).

عبدالرحمن الحاج صالح

- أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، (العدد 6، السنة الثالثة، ديسمبر 2007).
- المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، (العدد1، السنة الأولى، مايو 2005).

عبده الراجحي

- النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من اللغة العربية (محاضرة ألقيت في النادي الأدبي بالرياض، بتاريخ 24 من ربيع الآخر 1408.

فالح بن شبيب العجمي

- الربط الذرعي في النص العربي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات (المجلد 12، العدد 1، سنة 1994).

كمال بشر

- مفهوم علم الصرف، مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة: ج25، رمضان 1389 - نوفمبر1969).

محمد عابد الجابري

- اللفظ والمعنى في البيان العربي، مجلة فصول (المجلد 5، العدد1، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر، سنة 1985).

محمد محمد يونس علي

- أصول واتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر (الكويت: العدد 1، المجلد 32، يوليو - سبتمبر 2003).

محمود أحمد نحلة

- نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة الدراسات اللغوية (محرم - ربيع الأول 1420، يونيو سنة 1999).

مصطفى غلفان

- من أجل لسانيات العربية، إشكالية الموضوع، مجلة اللسانيات واللغة العربية، (جامعة عنابة - الجزائر: مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد1، يونيو سنة 2006).
- نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي، حوليات كلية الآداب العلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني (الدار البيضاء: العدد 3، سنة 1986).

وسمية المنصور

- توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل، مجلة عالم الفكر، (مارس 2000).

3 - المراجع الأجنبية

Patrick Charaudeau,Dominique Maingueneau et autres.

- Dictionnaire d analyse du discourse, edition du Seuil,2002.